مشـــروع ورشـــــة النـقـد للســـرد الــروائـــى
نموذجًا
سباعية الكاتب السيد حافظ الجزء السابع { لو لم أعشقها }

شرنعة العشق
ما بين البراجماتية والدوجماطيقية

نموذجًا
رواية " لو لم أعشقها "
للكاتب السيد حافظ

الدكتورة/ نجاة صادق الجشعمى

الكتاب : شرنعة العشق ما بين البراجماتية والدوجماطيقية – نموذجاً رواية "لو لم أعشقها"
الكاتبة : د. نجاة صادق الجشعمى
الناشر : مركز الوطن العربى "رؤيا"
البريد الالكترونى : JUSTHAPPY_MAN2000@YAHOO.COM
HAFEZ66@LIVE.COM
تليفون : ٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨
الناشر : "العنـوان " للنشر والتوزيع – الشارقة مويلح
ص.ب : ٨١٨١١ ALENWAN10@GMAIL.COM
الناشـر : دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر
تليفون : ٠٣ / ٤٨٦٠٠١٢
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٢١
رقم الإيداع : ٢٠٢١ / ٢٤١٥
دار الكتب والوثائق القومية
إدارة الإيداع القانونى
الترقيم الدولى : I.S.B.N 775 – 10 – 180 – 062 - 2
الغلاف :
تصميم وإخراج : خالد شعبان
الجمع والصف الالكترونى : وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : خالد شعبان
التوزيع :
دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر
الإسكندرية : ١٠ ش ابن الشجاع – الأزريطة – الإسكندرية – ج.م.ع
تليفون : ٠٣ / ٤٨٦٠٠١٢
مكتبة ليلى : القاهرة – ش جواد حسنى – أمام بنك ناصر – متفرع من ش قصر النيل
تليفون : ٠١٠١٧٥٧٦١٥٩
مكتبة أكمل : الإسكندرية ١٨١ / ١٨٣ شارع أحمد شوقى – رشدى
تليفون : ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

دراسات نقدية
بقلم

د. سعيدة خلف

د. عبير خالد يحيى

أ. أشرف دسوقى على

أ. معتز العجمى

أ. أسمهان سعودي

أ. سناء نويوه

أ. سعاد جلال

أ. سحر فاخر الجابري

د. خلود جبار عبيد

م.م. زينب نوري لعيوس

د. نزار شبيب العبادي

الإهـداء الأول

إلـى أرواح

غادرت الدنيا

لكـم الجنة

الإهداء الثانى

إلى من صير حروفي و كآبتى و ضعفى و يأسى ..
كلمات وجمل و قصائد و قصص و كتب ..
إلى من لمحت منابر و منصات و صحف و مجلات و أخبار الثقافة
و الأدب و الإعلام وجوههم واركوا لنا في أروقة الزمانكية برق
ورعود تمطر ذكريات و لقاءات ثقافية..
قصائد و أناشيد و حكم و قصص لها بداية و نهاية
و أخرى لا بداية و لا نهاية و رسائل محبة في اللّه لروحك الطاهرة
شهيدة الكلمة و الثقافة و الأدب
الفاتحة لروحك

أ.د. فايزة سعد

مقدمة الكاتبة

مقدمة كان حلمًا فخاطرًا فاحتمالًا ثم أضحى حقيقة لا خيالًا كان حلمًا أن يكون هناك مشروعًا نقديًا في ورشة نقدية لمجموعة من الباحثين والكتاب حول مشروع كاتب ما أو شاعر ما وقد تعودت الساحة النقدية على أن يكون للناقد حريته المطلقة في الاختيار أو التهميش لأنواع الإبداع المختلفة كان علي أن افكر بطريقة مختلفة أن يكون هناك مشروعًا نقديًا جماعيًا وليس فرديًا ، وواتتني الفكرة بأن نجتمع ثلة من النقاد المبدعين حول مشروع إبداعي لكاتب متميز له مشروع متعدد الجوانب والرؤى ويتيح لنا مشروعه التحرك والاجتهاد والاستبصار والتفرد ونحت مصطلحات جديدة على النوعية في السرد وعلى تشظي العمل الإبداعي في قانون خاص به وكانت تجربة السباعية الروائية التي كتبها الروائى السيد حافظ من ٢٠١٠ حتى ٢٠٢١ وهي السباعية الحافظية للكاتب السيد حافظ الروائي إلى الباحثين فى الأدب الروائى :

أولاً : رواية مسافرون بلا هوية ــ عام ١٩٩٧

ثانياً : رواية نسكافيه عام ٢٠١٠

مشروع الملحمة الروائية للسيد حافظ فى ١٩ جزء رواية :

الجزء الأول : قهوة سادة عام ٢٠١١ خرج منـها :

١- شهر زاد تحب القهوة سادة ٢٠١٨

٢ - كرسى على البحر - ٢٠١٨

الجزء الثانى : رواية كابتشينو عام ٢٠١٢

خرج منها : ١ - نور وموسى الحبل السرى للروح ٢٠١٨

٢ - هل ما زلت تشرب السيجار ٢٠١٨

الجزء الثالث : رواية : ليالى دبى شاي أخضر ، شاي بالياسمين - عام ٢٠١٤

خرج :منـها : ١ – الحاكم بأمر الله وشمس ٢٠١٨

٢ – وتحممت بعطرها ٢٠١٩

الجزء الرابع : رواية : كل من عليها خان – عام ٢٠١٥ خرج منـها :

١ – نيروزى والبنت وجد ٢٠١٨

٢ – كل هذا الحب ٢٠١٩

الجزء الخامس : رواية : حتى يطمئن قلبى – عام ٢٠١٦ خرج منـها :

١ – حكاية البنت لامار وقراقوش ٢٠١٩

٢ – نسيت أحلامى فى باريس ٢٠١٩

الجزء السادس رواية : ما أنا بكاتب – عام ٢٠١٧ خرج منها :

١ – وهمت به ٢٠١٨

٢ – شط إسكندرية يا شط الهوى ٢٠١٨

الجزء السابع والأخير رواية : لو لم أعشقها - عام ٢٠١٩

إنها فرصة ثمينة لنا نحن النقاد أن نجتمع في ورشة نقدية على مائدة مستديرة وكل منا يبحر شرقًا أو غربًا في المناهج النقدية ويصعد شمالًا أو جنوبًا للبحث عن أوجه التشابه والتناص والإختلاف والتفرد والتنوع والتأطير المستقبلي للحركة النقدية مستغلين هذا المشروع الرائع لنتحرك عليه وندخل في سراديبه ونفتح صناديق الجمل المغلقة ونكشف أسرار السحر وشعوذة اللغة ونفضح سر المكنون لنجعله المعلوم ، أشكر كل من تعاون معي من النقاد والناقدات على إمتداد الوطن العربي هؤلاء المبدعون الذين لا يبحثون عن مال أو شهرة أو مجد زائف بل يبحثون عن شعلة الحقيقة المقدسة في روح الأدب الذي يظل خالدًا وتفنى الأمم والشعوب ويفنى المبدعون والفلاسفة النقاد وتبقى الحقيقة في كتب وكلمات التي يحفظها جيل بعد جيل ولسنا ورشة نقدية منغلقة بل نحن منفتحون على كل من هو جاد لينضم إلينا ونرفض النقاد الباحثين عن المال والذين يمارسون الخديعة في كتبهم ليلًا ونهارًا فلأتوجه بالشكر مرة أخرى لكل فرسان وفارسات الورشة النقدية.

د . نجاة صادق الجشعمى

القاهرة ٢٩ مارس ٢٠٢١

شرنعة العشق ما بين البراغمائية والدغمائية
في أعمال / السيد حافظ
رواية "لو لم أعشقها" نموذجًا
بقلم د. سعيدة خلف

تستطيع البراغمائية أن تكشف عن أمور وقضايا حبيسة في النفوس، فعلى مر العصور والوطن حافل بالمتناقضات في شعبه وأهله؛ فاتخذ عاشق الوطن (السيد حافظ) منها قنطرة ليلقي عليها عما في قلبه تجاه وطنه، وقد سلط الضوء على بؤرة سلبيات القطر العربي وأهله، وهم يرسفون في قيود الظلم والاستبداد في ظل السلطات الحاكمة لبعض البلاد العربية.

فمن ينظر إلى رواية (لو لم أعشقها) نظرة عميقة متأملة يتبين له الإديولوجيات السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الكاتب، فدُرَرٌ قلمه تستميل إليها النفوس وتدفع المتلقي للتفاعل معها واستنباطها، يسوق الكاتب على لسان فتحي رضوان: "فتحت الباب..

- وجدتُ أمامي نورًا شديدًا ينبعث من رجل اختفت ملامحه في الضوء.
- أنت فتحي رضوان؟
- نعم..من أنت؟اطفئ النور من فضلك الذي في يدك حتى أراك.
- لا أحمل نور في يدي يا رجل...
- من أنت اذًا؟

- **أنا ضميرك..."[1]**

وهنا يعاني فتحي رضوان ويتألم لمعاتبة ضميره له عما يفعل من خطيئة وعشقه المدنس لسهر ومحاولة ضميره تخليصه من الذنوب والخطايا.

- **يقول ضميره "سأغسل قلبك من الخطيئة**
- **لا تفعل لأني لست نبياً ولا ولياً ولا من العارفين بالله أني من التابعين للحكمة والكلمة والنور"[2]، وبدأ فتحي رضوان يفكر فيما حدث والتخلص من ذاك الأرق والعشق المدنس(سهر، حياة) وفراره إلى العشق المقدس (وطنه) ولكنه يتوقف عند بعض سلبيات وطنه.**

فيتحدث الكاتب عن غياب الشفافية عند بعض الصحافيين والإعلاميين قائلاً: "الجرائد العربية تقرأ في الحمام وهو المكان الذي يليق بها لكثرة الغث والكذب فيها والزيف والتدليس...وجدت في الصفحة الأخيرة والعمود الأخير كُتِب بخط صغير(وجد الوطن ميتًا في ضاحية المدينة وقد سرقت كليتيه وقلبه وقطع لسانه ونشرت أصابع يديه)"[3]، فمن تدليس الصحافة وزيفها ولم تأت بالحقائق كما في الواقع

---

(1) السيد حافظ ، رواية لو لم اعشقها ،ط٢،القاهرة ٢٠١٩،صـ١٤
(٢) السيد حافظ ، رواية لو لم اعشقها ،صـ١٤
(٣) المرجع السابق صـ٢٢

الراهن، فهذا حالة بعض الإعلام والصحافة المصرية إبان نكسة (١٩٦٧م)، عندما بالغ كل منهما في أخبارالانتصارات الوهمية التي جعلت الشعب في مواجهة عارمة من وهم الانتصار حتى أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في بيانه عن الهزيمة وتنحيه عن كل المناصب التي يشغلها، وربما فعلت الصحافة المصرية ذلك لرفع الروح المعنوية للمصريين والجنود على أمل المواجهه والانتصار.

يقول الكاتب:"قمت مسرعاً تجاه البلكونة وصحت يا قوم يا قوم الوطن قد مات وسرق كبده وقلبه ونشرت أصابع يديه !!. لم يرد أحد... صحت مرة... مرتين.. ثلاث... نزلت إلى الشارع وجدت الناس مقطوعة الآذان"(١)، فهذا حال بعض الصحافيين"صمٌ بكمٌ عميً فهم لا يرجعون"(٢).

و يشير الكاتب إلى ثورات ما يسمى بـ (الربيع العربي) ومحاولة تغير بعض النظم السياسية المتواطنة منذُ عقود ومنها: ثورة(١٩٥٢م) في مصر بقيادة الرئيس الراحل (جمال عبد الناصر، محمد نجيب، أنور السادات، عبد الحكيم عامر)، ولم تنجح هذه الثورة إلا في تغير مصر من ملكية إلى جمهورية فلم ينجح عبد الناصر في جعل مصر دولة إشتراكية

---

(١) المرجع نفسه صـ٢٢
(٢) صورة البقرة الأية ١٨

أو علمانية وازداد الخلاف بينه وبين جامعة الإخوان ومحاولة اغتياله في حادثة المنشية بالإسكندرية وإطلاق النار عليه (١٩٥٤م) أثناء إلقائه خطابه وقد اتهم الإخوان بهذا الحادث رغم نفي جماعة الإخوان لذلك يقول السيد حافظ: "الآن حلت الحرب الإيديولوجية السياسية بدلا من الإيديولوجية الدينية وأصبحت الأحزاب والنقابات تعبئ الجماهير للنزول للشارع وبدلًا من الحروب بين المسيحيين واليهود حلت الحروب بين الاشتراكية والليبرالية."(١).

وفي عام (٢٠١١ م) تجمهر الشعب في ميدان التحرير، وقامت مصر رأسًاعلى عقب وفي ظلها ظهرت الإيديولوجيات الدينية بكل معانيها وصورها ومنها:سلفية وسنية ومسيحية وشيعية وحدث ما قاله الكاتب: "الآن مصر عادت إلى قرون التخلف فقامت بحرب ضد الشيعة والسلفيين و سحلت وقتلت أسرة كاملة شيعية ورجعت مصر أكثر من ألف سنة إلى الوارء."(٢)، قامت أهالي قرية زاوية أبو مسلم بالجيزة بحادثة قتل وسحل أسرة شيعية عقب ثورة (٢٠١١م) و أثار هذا الحدث غضب الشعب المصري بأكمله، وضبط مرتكبي هذه الجريمة وسرعة تقديمهم للمحاكمة في هذا العمل الإجرامي

---

(١) السيد حافظ،رواية لو لم اعشقها ، صـ١٥
(٢) المرجع السابق صـ١٥

الذي يتنافى مع روح التسامح التي يتميز بها الشعب المصري، فهذه حادثة وليس حرب كما يقال الكاتب فإيديولوجية الثورات تقوم على أسس سياسية وقومية ومذهبية ودينية وخلاف بين الطوائف المختلفة للوصول لسدة الحكم، فأنظر إلى الثورات الفرنسية والإيرانية وغيرها.

يقول السيد حافظ : "أتعود إلى مصر التي تعشق التفاهه الآن بعد أن كانت تعشق أغاني أم كلثوم أما الآن الأفلام والأغاني الركيكة؟؟ لقد غابت مصر الراقية وانتشرت مصر العشوائية وغابت مصر أم كلثوم وعبدالحليم وليلى مراد.."(١)، يمتد قلم كاتبنا إلى نقد(القوة الناعمة في مصر)المتمثلة في دور السينما والمسرح والتليفاز والإذاعة وصدى تأثيرها على البلاد العربية وتحويلها إلى التفاهة والركاكة، فمن الجدير بالذكر أن الفنون تتغير بتغير الزمن والتطور التكنولوجي وكذا أفكار الشباب لا تتناسب مع رتم الأغنية العربية الأصيلة الراقية أيام الزمن الجميل أو مع الفن القديم الأصيل، ولكن مع التطور التكنولوجي في العصر وسرعة استجابة الشباب له وسرعة الأداء فجاء الفن بما يناسب أفكار الشباب.

يقول السيد حافظ: "الوطن يحك رقبته وظهره بالشهداء

---

(١) المرجع نفسه صـ١٥

وينساهم"[١]، يبين لنا الكاتب أن الوطن قائم على أبنائه الذين يتفانون ويستشهدون من أجل نصرته دون أنتظار أدنى مقابل فحين أن بعض الساسة ينسبون فضل نصرة الوطن لهم وليس لشهدائه.

كما يتحدث السيد حافظ عن قناعة المواطن المصري الذي يرضى بأقل القليل فهو لا يريد من الوطن إلا طعامه وشرابه قائلًا: " كل مواطن في بلادي يحتاج في بلادي كوب شائ ساخن وكوب ماء بارد ورغيف خبز وبعض الملح"[٢].

يقول السيد حافظ :"أين ستذهب يا رضوان إلى مصر حيث ينتظرك الغالبية من المثقفين يحملون خناجرهم ليغتالوك مثلما اغتالوا محمود دياب ونجيب سرور ويحى الطاهر عبدالله ومحمد حافظ رجب وقائمة طويلة من مبدعين ومبدعات قتلوا قبلك من الحسد والتهميش والتجاهل والإشاعات..؟"[٣]، يتساءل السيد حافظ عن المجهول الذي ينتظره في وطنه من تهميش وتجاهل وحسد وإشاعات كما لحق بأقرانه الكتاب المبدعين الذين تبنون الاتجاه الواقعي في نصوصهم الآدابية والتعبير عن الواقع ومتغيراته آنذاك أمثال:محمود دياب ونجيب سرور ويحيى الطاهر.

---

(١) السيد حافظ،رواية لو لم اعشقها ، صـ٢٣
(٢) المرجع السابق صـ٢٣
(٣) المرجع نفسه صـ٢٧

يقول السيد حافظ : " الوطن قسمنا إلى جزأين الأول السادة الأحرار والثاني وهو الغالبية العظمى من العبيد (الكلاب).. هناك فرق بين الاثنين. وأنا من العبيد الفقراء وأنحازإليهم.. قلباً وقالباً.."[١]، يتحدث الكاتب عن غياب الطبقة الوسطى في المجتمع وأتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء؛ فالأغنياء يزدادون غنى، والفقر يلازم الفقراء.

ويسوق إلينا السيد حافظ مقطع من رواية: نصف حياة والتي تنبئ عن النظرة الطبقية من أفراد المجتمع من تعيين أهل الكفاءة وأهل الثقة، وأن معايير اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب تتأثر ببعض الإيديولوجيات الثقافية والإجتماعية في المجتمع، وغالباً ترجح كافة أهل الثقة في بعض المؤسسات العربية عمن هم أكثر كفاءة حتى وأن كان رئيس المؤسسة يريد الأكثر كفاءة، قائلا:"تحدت خادمة متسولة كل أنواع المخاطر على الطريق وذهبت إلى بلاط الملك.كانت مغطاة الرأس، تنظر إلى أسفل وتتحدث بصورة جميلة وتواضع جم، حتى أن الملك رجاها أن تكشف عن رأسها. كانت ذات جمال لا يضاهي.

وقع الملك في غرامها وأقسم قسمً ملكياً أمام بلاطه أن الخادمة المتسولة ستكون ملكته.وكان "آن"وفى بوعده.غير أن سعادة

---

(١) المرجع نفسه صـ٣٤

ملكته لم تدوم لم يعاملها أحد كملكة، الجميع يعرف أنها متسولة"[١]، فهذه الخادمة المتسولة التي تحدت كل المخاطر وجذبت الملك بحديثها وتواضعها وجمالها وعندما تزوجها الملك وجعلها ملكة البلاط الملكي فلم يعاملها أحد كملكة ونظروا إليها نظرة الطبقية الإجتماعية كخادمة متسولة.

يسوق السيد حافظ على لسان فتحي رضوان: " نزلت إلى الشارع وجدت الناس يسيرون فوق جثة جسد عاربحجم أرض الشارع صحت:

- يا قوم أنتم تسيرون على جثة الوطن

اقتربت أكثر فأكثر وجدتها جثة الوطن ممددة ورائحة نتنة تنبعث من قدميه التي بلا جورب وحذاؤه قديم مستهلك ملقي بجواره يشبه ذلك الحذاء العسكري الضخم"[٢]، يتوغل السيد حافظ إلى اندلاع ثورة (٢٠١١م)الإحتجاجية وإسقاط النظام السياسي بها، فخرجت جموع الشعب معبرة عن رفضها له والإطاحة به بعد تواطنه ثلاثة عقود؛وذلك لسوء الأحوال السياسية والإجتماعية والثقافية وكان شعارها (عيش، حرية، عدالة إجتماعية)، ونزل الجيش المصري مساندًا لرأي الشعب واحترامًا لحريته في مطالبه حتى تنحى الرئيس الراحل محمد

---

(١) منقولة عن السيد حافظ ،رواية لو لم أعشقها صـ٦٤
(٢) المرجع السابق صـ٧٥

حسني مبارك عن منصبه، فمتدت ثورات (الربيع العربي) إلى بعض بلدان القطرالعربي ومنها (تونس، مصر ، السودان، سوريا، العراق وغيره..)

وتبدو الدغمائية عند السيد حافظ في التقسيم الفكري للبلاد، وتعصب كل فئة للونها أو قبيلتها أو ديانتها أو عرقها ورفضها الاطلاع على الأفكار المخالفة ومعاداتها كل ما يخالف فكرها فإذا نظرنا إلى مصر كما يقول السيد حافظ:"نظرت في الورقة وجدت مكتوب عليها شعار دولة مصر الإسلامية على مذهب أهل السنة.. سرتُ في الطريق وأنا أحمل الورقة وجدتُ حدودًا وعلمًا أخرى ولافته كتب عليها دولة مصر المسيحية.

ففزعت فتجهت غربًا وجدت حدودًا وعلمًا آخر ثالث دولة مصر النوبية"(1)، نجد تعصب كل فئة لإيمانها بفكرها السائد بداخلها، فالمسلمون أهل السنة يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ولكن هناك إنقسام فكري فيما بينهم فمنهم: الجماعة السلفية، وجماعة الإخوان، فهما يتعصبا لفكرهما داخل الجماعة، وانتماء كل منهما لجماعته ومعاداة كل فكر مخالف لفكرهما، وهذا يرجع إلى إنفلات الخطاب الديني، وعدم وجود عدالة إجتماعية، وسوء أحوال التعليم في البلاد، وإذا نظرنا إلى المسيحية نجد أنها ثلاث

(1) السيد حافظ، رواية لو لم اعشقها، صـ٧٦

طوائف رئيسية(الكاثوليكية، الأرثوذكسية، الإنجيلية)، فكل طائفة متعصبة لفكرتها الدينية وإنتمائها لطائفتها، وأيضًا النوبيون الذين يتعصبون للونهم ولعرقهم؛ فتعصبهم ليس تطرفًا ولكن تعصب من شدة حبهم لنوبيتهم وتراثها وعادتها وتقاليدها، تعصب للونها وثقافتها، فالتقسيم الذي فزع منه (السيد حافظ) تقسيماً فكري وليس جغرافيا.

وإذا نظرنا إلي تقسيم الجزائر كما يقول السيد حافظ: " فذهبت إلي الجزائر وجدتها أيضًا قد قسمت إلى ثلاث دول فرانكفونية ودولة أمازيغية ودولة إسلامية عربية"[١]، فكل منهم يتعصبون للغة والعرق والقبيلة والعادات والتقاليد وغيره...

يقول السيد حافظ: "ذهبت إلى المغرب وتونس قسمت إلى ثلاث مثل الجزائر ونفس الشئ في تونس ذهبت إلى السعودية وجدتها قسمت إلى خمس دول.. و سوريا إلى ثلاث دول.. والسودان إلى ثلاث نظرت إلى نفسي وجدتني خمس شخصيات.."[٢]، فالتقسيم كما يبدو إيديولوجي متواطن بداخل كل فئة وتعصبهم له وإيمانهم به، فذهول (السيد حافظ) من هذا التقسيم يرجع إلى قوميته وإهتمامه بالأقطار العربية والخوف من انشقاق البلد الواحد على نفسه.

---

(١)المرجع السابق صـ٧٦

(٢) السيد حافظ،رواية لو لم اعشقها ، صـ٧٧

يسوق السيد حافظ مقطع من رواية عن حب وشياطين أخرى: " كانت العبدة أسيرة حبشية طولها سبعة أشبار، وبدت ملطخة بالدبس الأسود المستخرج من القصب بدلا من الزيت التجاري الأصيل.جعل جمالها الخلّاب تبدو كالدمية : لها أنف رقيق ورأس مستوٍ وعينان زائغتان وأسنان فى غاية الكمال، وظهرت بالمحمل كمصارع روماني. عندما عرضت للبيع لم يتحدث أحد عن صفاتها ولم يذكر أى شىء عن عمرها أو صحتها، لأن جمالها كان كافيًا لبيعها. وقد دفع الحاكم الذى اشتراها ، من دون مساومة وزنها ذهبًا "(١)، ربما يشير الكاتب إلى تدهور العلاقة بين مصر وأثيوبيا وبناء سد النهضة ومساندة بعض الدول المعادية لمصر لأثيوبيا.

ويتطلع كاتبنا العظيم إلى بشائر فجر جديد لمصر وذلك في حمل تهاني التي لم تخبره حتى تتأكد يقول الكاتب:" ظلت تداعب طفلها في أحضانها ولم تخبره أنها حامل .. لأنها تريد أن تتأكد من الأمر .."(٢).

يتكأ (السيد حافظ) على مقطع من رواية: الغريب؛ليبين مدى أشتياقه وحنينه لمصرأيام زمان ويظهر أصالة وعراقة مصر فيبين الدولاب المصفرة مرآتة والسرير النحاسي والأحتفاظ

---

(١) المرجع السابق،صـ١٠٦

(٢) المرجع نفسه،صـ٧٩

بالإعلانات والأشياء الطريفة في مذكراتنا "حين كانت أمي لا تزال تعيش هنا .كانت الشقة مناسبة لنا. أما الآن فقد صارت واسعة... ما عدت أعيش سوى في هذه الغرفة، بين كراسي القش التي تحفرت قليًلا، والدولاب المصفرة مرآته، ومنضدة الزينة والسرير أُلنحاسي... أخذت جريدة قديمة وتصفحتها. قصصت منها إعلاناً عن أملاح كروشن، وألصقتها فى دفتر قديم، كنت أضع فيه كل الأشياء التى أجدها طريفة فى الجرائد"(١).

ويستطرد الكاتب حديثه عن مصر وارتداء المصريين الجلباب الأبيض يوم الجمعة والافطار بالفول المصري والفلافل البيتي وألتفاف الأسرة حول مائدة الطعام والذهاب إلى الصلاة في المسجد حتى وأن كان الإنسان متناقض في سلوكه قائلًا:" في جلباب أبيض أجلس على مائدة الفطار الفول المصرى ..وكوب حليب وتهاني تصنع الفلافل في البيت والبصل والشاى الأحمر المغلي طقس يوم الجمعة والذهاب إلى الصلاة في المسجد"(٢).

ويرى (السيد حافظ) في تهاني صورة مصر: " تهاني توزع ابتسامتها الطيبة على جدران البيت وتمنح الطعام نكهة

---

(١) منقولة عن السيد حافظ رواية لو لم أعشقها،صـ١٥٣
(٢) المرجع السابق،صـ١٨٩

جميلة.. تهاني تفتح قلبها يتسع العالم وتغمض عينيها عن أفعالي الحمقاء لأنها تؤمن بأن الحب هو التسامح ولا تعرف كيف تفلسف الأمور .."[1].

ويبررفتحي رضوان إنسياقه وراء العشق المدنس وخيانته لزوجته (تهاني)ومضاجعته النساء قائلاً"أمشي مكشوف الرأس وأبتسم بلا سبب وأضحك بلا سبب وأعرف النساء وأعاشرهن ربما لسبب مهم هو أني أقاوم الاكتئاب العميق الذي لاتراه الناس في وجهي.. عندي اكتئاب شديد وعميق من الوطن.."[2].

يقول (السيد حافظ):" لا هى شبه امرأة لأنها بريئة .. نساء هذا الزمان مجنونات محترفات الخيانة والعشق والخداع والمراوغة.."[3]، تهاني التي لا شبه بينها وبين أى امرأة؛ فهى مصر.

اتخذ (السيد حافظ) من كلام جمال حمدان عصا يتكأ عليها ليعبر عما في نفسه" فشرط النجاح والبقاء فى مصر أن تكون اتباعيا لا ابتداعيا، تابعاً رائَدا، محافظ لا ثوّرياً، تقليديا لا مخالف، ومواليا لا معارضاً..[4]، أن يكون الحاكم تابعاً لأقوى

---

(١) المرجع نفسه،ص١٨٩
(٢) المرجع نفسه صـ٢٣
(٣) المرجع نفسه صـ١٩٦
(٤) منقولة عن السيد حافظ رواية لو لم أعشقها،صـ٢٤٨

مؤسسة في مصر؛فمصر منذ عهد الفراعنة وهي قائمة على النظام العسكري.

اتفق مع (السيد حافظ) وقول جمال حمدان" إن ما تحتاجه مصر أساسًا إنما هي ثورة نفسية، بمعني ثورة علي نفسها أولًا، وعلي نفسيتها ثانيًا، أي تغيير جذري في العقلية والمثل وأيديولوجية الحياة قبل أي تغيير حقيقي في حياتها وكيانها ومصيرها.. ثورة في الشخصية المصرية وعلي الشخصية المصرية!!"(١)، وفي النهاية يعود فتحي رضوان إلى وطنه تاركًا دبي وسهر وحياة ولكنه إختفى ولم يبق له أثر.

ومن الفلسفة العميقة (للسيد حافظ) يشير إلى غياب الشفافية في بعض البلاد العربية والمراوغة المستمرة في إخفاء حقائق الأمور عن الناس مما يجعل الكثير من الشعب يعيشون في أحلام وردية ثم يصتدم بالواقع المرير" حين تمتد يدك لتنزع الغطاء من قنينة عطر تشعر بالبهجة لكن أن تنزع الغطاء عن غطاء أسرار القلب فقد تشعر بغصة فى القلب أن أخطر اللحظات فى عمر كل منا المكاشفة لأنها قد تصدم الآخر.."(٢).

وأيضًا يتحدث (السيد حافظ) عن التنازع بين الأعراق في بلاد الشام والتي تحولت إلى صراع للوصول إلى سدة الحكم يسوق

---

(١) المرجع السابق، صـ٢٤٩

(٢) السيد حافظ،رواية لو لم أعشقها،صـ٩٨

على لسان راغب:" - هل مازالت سهر بنت سالم في رأسك يا شداد؟

- وكانت في رأسك ورأس أبيك المختار ورأس كل الرجال والشباب بالجبل"[1]، فسهر المهرة البرية (سورية)زهرة بلاد الشام ويطمع فيها كل من :كاظم و شداد و راغب وكل شباب الجبل.

ويستطرد الكاتب حديثه عن بلاد الشام قائلاً:" ترحل إلى أين يا كاظم أمك لم تر القطار وأبوك لم يركب الطائرة وأنت لاتعرف إلا حافظ الأسد رئيساً للجمهورية وحزب البعث الذى قال إنك شيوعي .. تفر معها إلى أوروبا .. اكتشفت أنها تحبني .."[2]، ويشيرهنا إلى فرار بعض المعارضين. لنظام الحكم في سورية، تلك البلاد التي تموج بالظلم، فكان أهلها يرسفون في قيود الاستبداد وفشلهم في محاولة تغير بعض الإيديولوجيات السائدة في البلاد من (سياسية ، إقتصادية ، إجتماعية) واحتضان البلاد الأوروبية لهم.

وكذا يستطرد (السيد حافظ) حديثه عن الخلافات الناشبة بين الشعب السوري وانقسامه وانشقاقه على نفسه وفرار بعض المعارضين وترك الوطن وهو في أشد الحاجة إلى أبنائه"أنتم

(١) المرجع السابق،صـ٦٩

(٢) المرجع نفسة،صـ١٠٠

لستم إلا لصوص واقطاعيون واستوليتم على السلطة في القرية بعد أن قبلتم حذاء حافظ الأسد.. ويصرخ كاظم في الجراج كي يجمع شجاعة من صدى صوته المشروخ"[١]

وأيضًا يوضح (السيد حافظ) تآمر السلطة في سوريا على المعارضين لها" وتركت دبي لقد ضقت بوردة وراغب وأفعالهما وأنت تعلم هم أولاد من وكيف تآمروا على.....إن الأمور تسير ليست على هوانا بل الأقدار أنا الآن خارج دبي وخارج الوطن العربي الذى كنت أظنه يحمل كل صفات الحضارة والتقدم والفكر لكننى لم أجد فيه إلا القهر"[٢].

ويتحدث (السيد حافظ) عن المؤامرات التي كانت تحاك ضد الدول العربية وتدمير العراق وتفكيك أقوى جيش في البلاد العربية مستغلين غزو العراق للكويت.

كما تحدث (السيد حافظ) عن ضعف الصناعات العربية والاعتماد على الصناعات المستوردة ؛ وذلك يرجع لتغير ثقافة الإستهلاك في البلاد العربية فهذا (فتحي رضوان) الذي يقيم في دبي يضع أغلى أنواع العطر الفرنسي ويرتدي الملابس المستوردة.

يرى (السيد حافظ) أن قوة العرب تكمن في وحدة صفوفها، فربما تكون (شهرزات) رمزًا للقومية العربية التي تحتضن كل

---

(١) السيد حافظ، رواية لو لم أعشقها، صـ(١٠٨:١٠٩)
(٢) المرجع السابق،صـ١٦٤

البلاد العربية والعمل على حل كل أزمة تقابلهم.

ويتمنى كاتبنا أن يحلق في سماء الحرية، فإذا أمتلك قلمه حرية التعبير توالدت الدرر وفاح عبق العنبر في كل مكان وتغذى من فكره الكتاب والمبدعين الصغار، قائلاً: "أن كلماتي نار الحياة والشباب والشراب والشوق وليست نار الحمى والكي وسرادق التطبيل.. وحروفي كماء البحر إذا استكانت وملحت ولدت الدرر وأثمرت العنبر تطوف حولي طيور النورس وتتغذى من أفكاري صغار الأسماك من المبدعين.

وتتسابق الكلمات والحروف للتعبير عن إبداع (السيد حافظ) مبينة قوة كلماته وصموده وعشقه للوطن الذي يسكن قلبه، ولا يخفت بريق كلماته التي يترقب إضاءتها قلوب ولهة بعشق الوطن، فكاتبنا كالنخلة السامقة التي تعطي بلا حدود، وقلمه سيف يحطم أمواجًا وحواجزًا لا نهاية لها، فهو لم يكن عاشقًا للوطن بل للأمة العربية بأكملها، وتلوح سماؤه دومًا نجومًا برّاقة بالأمل.

د. سعيدة خلف

دراسة ذرائعية مستقطعة
بقلم: الناقدة السورية د. عبير خالد يحيى

جرأة التجريب ولعبة الميتاسرد في رواية (لو لم أعشقها)
للأديب المسرحى والروائى المصري الكبير السيد حافظ

مقدمة إغنائية:

"يندرج مفهوم التجريب[١] في إطار المفاهيم النقدية الحديثة، ويصنف بين الإبداعات العربية ذات التوجهات الفنية الجديدة، بما يعتمده من تقنيات حداثية، لكن التجريب ليس تقنية بقدر ما هو تعبير عن مواقف أو رؤى أو تصورات فلسفية وجودية وجمالية تاريخية تحكم مجمل العملية الإبداعية، فالتجريب موقف متكامل من الحياة والفن وهوينطلق من الحاجة الماسة إلى التجديد، ورغبة ذاتية في التخطي والاستمرار، فهو يستدعي نضج الفكر، ووضوح الرؤية، وتطور الأدوات الإجرائية، وتنوع الأساليب الفنية ".

ويختلف التجريب عن مفهوم التجربة، فبينما تقوم التجربة على قواعد فنية معروفة ومطروقة في أعمال فنية سابقة تُصنّف على أنها مثالية، يكون الكاتب أسير تقليدها ليضمن نجاح وتقبّل عمله من قبل المتلقي، فإن التجريب هو قرين

---

(١) مفهوم التجريب في الرواية - الدكتورة: سهام ناصر ورشا أبو شنب – مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (5) 2014 ص307.

الإبداع، وقد أجمع على ذلك معظم النقاد، ومنهم الدكتورصلاح فضل حيث يقول في مقدمة كتابه (لذّة التجريب الروائي)(١) :
" التجريب قرين الإبداع، لأنه يتمثّل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغامر في قلب المستقبل، مما يتطلب الشجاعة والمغامرة، واستهداف المجهول دون التحقّق من النجاح، والفن التجريبي يخترق مساره ضد التيارات السائدة بصعوبة شديدة، ونادرًا ما يظفر بقبول المتلقين دفعة واحدة، ويستثير خيالهم ورغباتهم في التجديد باستثمار ما يسمى بجماليات الاختلاف".
والتجريب الإبداعي شاسع ومتعدّد الأطراف، ويختلف عند كاتب عن الآخر، كمايختلف عن التغريب الذي يأخذنا بعيدًا عن فنيات القص العربي، رغم أنه قد يتخفّى برداء التجديد تحت ذريعة الأخذ بأساليب أو طرق جديدة، لكن الذائقة العربية سرعان ما تكشفه، فالتجديد لا يعني التخلّي عن الأصالة والجذور، بل ترسيخها من قبل الكاتب برؤية جديدة خاصة منعكسة عن ظروفه الاجتماعية و ذخيرته الثقافية والمعرفية، ونضج تجربته الأدبية، فالتجريب بهذا الطرح هو مفهوم

---

(١) لذة التجريب الروائي – دكتور صلاح فضل- دار أطلس للنشر والانتاج الإعلامي ش. م. م ٢٥ ش وادي النيل – المهندسين – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٥

وليس مصطلحًا، لأنه لا يستقر على شكل واحد، ويختلف من كاتب إلى آخر.

إلى هذا المفهوم (التجريب) تنتمي أعمال الكاتب المصري السيد حافظ الروائية، وسأحاول أن أرصد بعضًا من أطراف هذا التجديد عنده، وتحديدًا في عمله الروائي الأخير المعنون ب (لو .. لم أعشقها).

السيرة الأدبية والمهنية للأديب :

سأقتطع منها جزءًا يسيرًا فهي سيرة طويلة حافلة بالإنجازات الرائدة على صعيد التأليف والتجريب والإخراج المسرحي والتلفزيوني، وأيضًا الكتابة الإبداعية الروائية وأدب الطفل:

- من مواليد محافظة الاسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨
- خريج جامعة الاسكندرية قسم فلسفة وعلم اجتماع ١٩٧٦ كلية تربية
- حاصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحي بمصر عام ١٩٧٠
- مدير تحرير سابق في العديد من المجلات الإماراتية
- حاصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحي موجه للأطفال في الكويت في العام ١٩٨٠ عن مسرحية سندريلا
- حاصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥
- له أكثر من ١٦ مسرحية للأطفال تم عرضها بين (١٩٨٣-١٩٩٨)

أعماله الروائية :

مسافرون بلا هوية ١٩٩٧ ــ نسكافيه ٢٠١٠ ــ قهوة سادة ٢٠١١- كابتشينو ٢٠١٢ ــ شاي أخضر ــ شاي بالياسمين ٢٠١٤- كل من عليها خان ٢٠١٥- حتى يطمئن قلبي ٢٠١٦- ما أنا بكاتب (تشظى منها روايتان : وهمت به _ شط اسكندرية يا شط الهوى) ٢٠١٧- نور وموسى الحبل السري للروح ٢٠١٨- نيروزي والبنت والجد ٢٠١٨- شهرزاد تحب القهوة سادة ٢٠١٨- كرسي على البحر ٢٠١٨- هل مازلت تشرب السيجار ٢٠١٨- الحامو بأمر الله وشمس ٢٠١٨- وتحمّمت بعطرها ٢٠١٩- حكاية البنت لامار وقراقوش ٢٠١٩- لو لم أعشقها ٢٠١٩- كل هذا الحب ٢٠١٩- نسيت أحلامي في باريس ٢٠١٩.

- كتب مشروعًا مسرحيًّا للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف
- قدم مشروعًا للمسرح التجريبي تضمن حوالي ٣٥ مسرحية
- كما كتب لمسرح الطفل مشروعًا به حوالي ٢٠ مسرحية
- أخرج للمسرح الشبابي ومسرح الطفل حوالي ٩ مسرحيات
- أخرج للمسرح حوالي ٢٠ مسرحية
- أسس جماعات تجريبية للمسرح منها : - فرقة الصعاليك - وفرقة ألف باء مسرح-جماعة الاجتياز ، وكان ضمن هذه المجموعة الفنان / فاروق حسني وزير الثقافة السابق ، ود/ مصطفى عبد المعطي وكيل وزارة الثقافة السابق

والفنان مسعد خميس وعلي الجندي . وجماعة المسرح الطليعي .

- كتبت عن أعماله المسرحية العديد من الكتب والدراسات
- كتب للتلفزيون الكويتي والمصري ٣١ مسلسل مثل فيها العديد من الممثلين الكبار أمثال : حياة الفهد – منصور المنصور- معالي زايد – أحمد عبد الوارث – جلال الشرقاوي- محمود الجندي- زيزي البدراوي- هالة فاخر – تيسير فهمي أحمد عبدد العزيز – أحمد ماهر – وجدي العربي ....
- كما كتب للإذاعة في البحرين وقطر والكويت ومصر العديد من المسلسلات الإذاعية.

موضوع التجريب باتساعه وشموليته لا يمكن تناول جوانبه إلا بمنهج نقدي علمي شمولي، كالمنهج الذرائعي الذي سأعتمده لأتناول الموضوع من مستوياته الفكرية والنفسية والاجتماعية والأيديولوجية والأخلاقية من جهة، واللسانية من جهة أخرى.

أولاً– المستوى الأخلاقي :

- **البؤرة الفكرية الثابتة :**

المواضيع التي يطرحها الكاتب في هذا العمل تنضوي تحت المفاهيم التالية : مفهوم الوطن ، و المفهوم الوجودي ، والمفهوم الصوفي، ويمسرح الكاتب طرح هذه المفاهيم ضمن صراعات :

- داخلية عنيفة: يضمّن فيها الأسلوب الأدبي بانزياحاته الجمالية والرمزية المحمولة على تقنية تيار الوعي، والمونولوج والأحلام، والتهويمات واستدعاءات لرموز الصوفية.
- وصراعات خارجية: ترصد حركة وأفعال الشخصيات من خلال الحوار كتقنية سردية رئيسية، وصراعها الحركي المادي في بلد استقطبهم بعد أن لفظتهم أوطانهم، التي ضاقت بهم وضاقوا بها، أوطان فقدوا الثقة بها بعد أن أفقرتهم قياداتها بسياساتها القمعية(كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس..؟ ؟) فراحوا يبتغون لقمة عيشهم في بلد خليجي موشوم بوشم الغرب وماديته، في (دبي) عاشت شخصيات العمل غربة مضاعفة، سلبت منهم بكارة الروح، ووشمتهم بشبق الشهوة، شهوة المال والجنس، أي صراع يمكن أن نشهده بين الجسد والضمير ، وبين الجسد والجسد، وبين الضمير والضمير، وبين الروح والشهوة؟ وبين الوطن الأصل الذي يطرد، والوطن البديل الذي (يفنّش)؟!

حول هذه الاستاتيكية الفكرية قام هذا العمل، وأريد أن أؤكد بعد اطلاعي على العديد من أعمال الكاتب أن هذا التبئير الفكري والأيديولوجي هو الطاغي على استراتيجية الأديب

السيد حافظ في مشروعه السردي الطويل، حيث أن العمل الذي أتناوله الآن (لو لم أعشقها) هو الجزء الأخير في سلسلة روائية طويلة، سباعية كتبها على امتداد ثمان أو تسع سنوات.

- **الخلفية الأخلاقية :**

توجّه الكاتب بعمله هذا إلى كل الخائنين الكذابين، على اعتبار أن الكذب أمّ المعاصي، منه تتوالد كل الموبقات، وصفهم بالزناة، لأن الزنا خيانة، خيانة للروح وللجسد وللإنسان ووطن الإنسان، فكان هذا العمل رسالة لكل إنسان عاش عليها ، وتطهّر من كل أدران الجسد والروح والفكر، لقد مارس الأديب النقد على نفسه ككاتب، تطهّر بكتابة هذا العمل وما سبقه، ومن بدأ بنفسه أنصفَ وعَدَل، توجّه مدروس وواعٍ نحو من يحملون أمانة الكلمة، ليدركوا فداحة الجرم الذي يرتكبونه حينما يفرّطون بأمانة الفكر والضمير والحرف والحبر والقلم والورق. ورغم تناوله لمواضيع حساسة إلا أنه لم يعرض لها بألفاظ خادشة، واعتقد أن الإهداء العام الذي استهل به الرواية يلخّص جوهر الرسالة الأخلاقية التي ضمّنها فيها:

"إلى هؤلاء الزناة .. الزنا بالعين والكلام والفكر واللمس والهمس والكتابة والرؤيا بأحلام اليقظة، وبالفعل إلى هؤلاء

السخفاء الذين يظنون أنهم يلعبون على الرب بالصلاة والمسبحة وسماع القرآن يوم الجمعة.. والذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد وإلى المعبد اليهودي يوم السبت.. إلى الكذابين الوجهاء الظرفاء .. هؤلاء الذين يزنون بالوطن صبحًا ومساءً دون حياء.. ويأكلون أموال الفقراء."

تجنيس العمل: الرواية جمعت بين جنسي المسرحية والرواية فهي جنس بيني معاصر (حوارية سردية)،

"والحوارية السردية هي جنس حواري سلوكي من محفز واستجابة وسؤال وجواب، بشكل محادثة مسرحية، بحوار ظاهري سردي، يحمل بين طياته التشابك السردي للقص القصير، و عقدة التشابك و الانفراج، بذلك يعطينا جنسًا بينيًّا بين المسرحية المقروءة والقص القصير(أو الطويل – رواية) ، بشكل حوار مستمر حتى تقره النهاية المشتركة"(١).

وأما نوعها فهي رواية واقعية بمسحة صوفية تتبع مدرسة الفن للمجتمع.

ثانيًا - المستوى البصري واللسانى الجمالى:

- **المدخل البصري:**

---

(١) الحوارية السردية ابتكار وتجنيس الدكتورة عبير خالد يحيي- الذرائعية وسيادة الأجناس الأدبية – تأليف /عبد الرزاق عودة الغالبي – تطبيق/ د. عبير خالد – دار النابغة للنشر والتوزيع- طنطا – الطبعة الأولى ٢٠١٩- صفحة ١٧١

العمل وصلني ملف PDF يقع في حوالي ٢٩٥ صفحة مفروش عليها متن العمل إضافة إلى العتبات البصرية الداخلية في المقدمة، وببلوجرافيا الكاتب السيد حافظ وأهم أعماله في المسرح والرواية في النهاية ، الملف لا يحوي الغلاف لذا سأستقطع دراسة الغلاف كصراع بصري ولوني، وأبدأ بالعتبة البصرية الأولى وهي :

العنوان :

لو لم أعشقها

العلامة السابعة والأخيرة

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن من هي التي يعشقها ؟ ومن هو العاشق؟ وماذا سيفعل لو لم يعشقها؟ عنوان مستفز ومحفز للبحث عن إجابة، بدأ من عنده الكاتب ببناء أول عنصر من عناصر الحدث السردي ألا وهو عنصر التشويق، في خاطرة سردية تسبق سؤالًا قبل المتن مباشرة يجيب الكاتب عن أول سؤالين، يقول:

حين لا يتوضأ الحرف
يدخل نار البوح
فينفضح الكون فيغضب الرب
وعشقت مصر بصدق ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة..

واكتشفت أن ليس لي وطن غير الكتابة وكل ما حولي جنون..
حين غرّد الطير فوق نافذتي تنبّهت تعطّرت توضّأت بنور موسم الكتابة الذي أتى لي..
بين الورق والقلم والهمزة والياء أنفقت العمر هباء
إذًا، العاشق هو الكاتب، المعشوقة صدقًا كانت مصر إلى أن ثبت له أن عشقها خطيئة، فكانت الكتابة هي المعشوقة الوطن، لكن أي كتابة؟ الكتابة عنها، عن مصر وطن الجنون والخطيئة، والكتابة كما يريدها هذا الأديب الحاذق هي كتابة تتوضأ وضوء طهارة وتتهيأ لصلاة تلتقي فيها الروح والنفس بالله لتجدد عهد الأمانة مع الخالق سبحانه وتعالى مستغفرة آيبة من دنس الخطيئة وسهو الجنون، فهل كانت الكتابة مجدية لتحجب صدق العشق عن المعشوقة الأصل؟ يقرّ العاشق بإخفاقه، فالعمر بين الهمزة والياء أنفقه هباء.

الإهداء: جعله عام وخاص.

العام : لافت جدًّا، ولا يخلو من تهكّم واتهام وغضب، إلى الزناة، وحدّد مفهومه للزنا، خصص به الفئة الكاذبة بكل طوائفها، وقد تناولته بالخلفية الأخلاقية.

الخاص: خصّ به الكاتب أخاه بإهداء لافت جدًّا، يلخّص حياته ومعاناته مع الكتابة ومدّعيها:

إلى الكاتب الكبير أخي محمد حافظ رجب

الذي كانت موهبته أكبر من حجم الوطن
فعذبوه- خصيان الأدب- وتعّتب بعبء حمله
مصلوبًا على الورق

أما عن التجريب، فكما سأدرسه في مضامينه في المستوى المتحرّك بالتفصيل، إلا أنه يتمظهر بصريًّا، من العتبات، ومباشرة بعد الإهداء، ببيت شعر للمتنبي:

طبعت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الآلام والأحزان

وقول ل (شبل بدران) :

الخير والشر ليسا إلا نوعين من الخير.

والعمل مقسّم بصريًّا وتجريبيًّا إلى ثلاثين (علامة)، بعناوين عبارة عن جمل مأخوذة من القرآن الكريم، لتبدو فصول الرواية أو علامات الرواية محاكية لأجزاء القرآن الكريم بعدد أجزائها الثلاثين. مثلًا : العلامة الأولى : وأكثرهم فاسقون، العلامة الثانية : وأكثرهم لا يعقلون ....، ويمكن أن يتكرّر نفس العنوان في أكثر من علامة، فمثلًا : العلامة الخامسة عشر والسادسة عشر : لهما نفس العنوان (وأكثرهم مستضعفون)، وكلها عناوين مدروسة حسب مضمون مشهدية السرد،فالسرد قائم بصريًّا على مشاهد مسرحية، أو سيناريوهية، ولا غرابة في ذلك فالكاتب أصلًا كاتب مسرحي كبير ، ووجدنا في سيرته الإبداعية والمهنية الكثير الكثير من

الأعمال المسرحية، لذلك من الطبيعي أن نلمس التأثير السيكولوجي والمهني على استراتيجية الكاتب في كل الأعمال الإبداعية الأخرى كالرواية هنا مثلًا، لذلك قام الأديب ببداية كل مشهد بتحديد المكان والزمان، وبذلك يأتي بالعنصر الثاني من عناصر بناء الحدث السردي (الزمكانية)، وإن لم يكن بطريقة أكاديمية، بل بطريقة مختزلة يتحرّر فيها من حشو الوصف وجمالياته إلى ديناميكية الأحداث الإجرائية، معتمدًا على قارئ لا يهمه وصف المكان بمحتوياته، وإنما تهمه مجريات الأحداث في ذلك المكان، وهذا ما يجعلني أؤكد أن الكاتب يكتب بوعي كبير ، هو يعرف أنه يكتب رواية وليس مسرحية أو سيناريو، فيقف عند الحد الفاصل بين الجنسين الأدبيين، فلا يستغرقه الوصف المكاني للمشهد المسرحي أو عين الكاميرا للمشهد السيناريوهي، وإنما يأخذ من النص المسرحي أو السيناريو ما يخدمه في عمل روائي، الحوار والأحداث، الأحداث المروية عبر حوارات بين شخصين في الغالب، وهذه الحوارات طبيعي أن ينتفي فيها الانزياح الجمالي والرمزي، ما يُفقد العمل العمق الأدبي، وقد فطن الكاتب لهذا الأمر، فعوّض عن هذا الفقد بفقرة سردية أدبية هي بادئة ولازمة في كل فصول الرواية، وهي بادئة(روح) جرّب الكاتب من خلالها استحضار تجليات الروح، عن طريق الإتيان بكل المعاني

القاموسية للحب، وأراه من خلالها قد أتى بالعنصر الثالث من عناصر بناء الحدث وهو (العاطفة) وهي طريقة غريبة، ولنقل أنها أيضًا نوع من التجريب البصري أفادت في دفق العاطفة في متن العمل الذي افتقد لجوهر الحب في كل العلائق التي قامت بين شخصياته.

تجريب تقني سردي آخر ألحقه الكاتب بالبادئة (روح)، وهو إتيانه بفقرات سردية من روايات عالمية، هذا النوع من التقنيات التجريبية يدعى بتقنية (الكولاج)[١] التوثيقية، وهي تقنية فنية في الفن التجريدي، أما عن استخدام هذه التقنية في البناء الفني في المتن السردي، فهي :" تعتمد على تنظيم وحدات السرد القصصي المتخيّل مع وحدات التوثيق الصحفي (وهنا الأدبي) بتقنية محدثة تقوم على إعادة تصميم ولصق المزق الخشنة المأخوذة من مادة الحياة الأولية (وهي هنا مأخودة من تجارب أدبية سابقة) لتدخل في تكوين جمالي جديد، بحيث يتم مسح ما علق بمصدرها من بقايا الاستعمال الأولي وتوظيفها في سياق جديد"[٢].

---

(١) "وهو مصطلح يطلق على الفن التلصيقي الذي يتم فيه دمج ولصق مجموعة من المواد معًا في لوحة واحدة, وتتم عن طريق قص قطع قماش أو صور ورقية وتجميعها معًا بشكل خاص على نسيج ثاني أو على لوحة ورقية أو خشبية ليصبح عمل فني واحد" – موقع معلومات – ما هو الكولاج ١٢يناير ٢٠٢٠

(٢) لذة التجريب الروائي – دكتور صلاح فضل- دار أطلس للنشر والانتاج الإعلامي ش. م. م ٢٥ ش وادي النيل – المهندسين – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٥ ص١١

من بعد بادئة (روح) وتقنية (الكولاج) يأخذ الفصل أو العلامة شكل النص السردي الحواري، سؤال وجواب، أو جمل إخبارية قصيرة متبادلة بين اثنين، وقد يكون الحوار منولوج داخلي في بعض المشاهد، وبذلك يأتي بالعنصر الرابع والأخير من عناصر بناء الحدث السردي وهو التعبير ، تعبير كل شخصية عن نفسها، مكنوناتهاالداخلية وتبرير سلوكياتها الخارجية.

ينتهي كل فصل بصريًّا بآيات قرآنية، وهناك آية ثابتة تتكرّر في معظم العلامات هي : {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس}.

من ناحية أدوات التنقيط أو الترقيم، يستخدم الكاتب النقطتين عوضًا عن الفاصلة، كما أن هناك استخدام لعلامة الاستفهام في غير موضع استفهام.

- **المدخل اللسانى الجمالى :**

مدخل الدلالات البلاغية، ومنها البنية الإيحائية الذرائعية، فالسرد ذرائعيًّا ينقسم إلى فسحتين: فسحة حوارية، وفسحة أسلوبية، قد فضّل الكاتب الفسحة الحوارية وقدّمها على الفسحة الأسلوبية التي تحوي العمق الأدبي الجمالي والرمزي، أورد جانبًا متواضعًا من العمق الرمزي، وبذلك يكون قد حرم النص أو العمل الروائي من التكنيك كأسلوب

فلسفي، لكنه وبإدراك عجيب لهذا الفقد عمد إلى استحضار اتجاهات وتيارات فلسفية في عمق المتن السردي عبر المونولوج الداخلي، تارة يكون تيارًاوجوديًّا ذاتيًّا، وجدناه عند كاظم :

إن تيارات النفس تعيش لحظة الانتباه ولا تنتبه لمتطلباتها، ولا ترى العلاقات الجديدة وإشكالاتها مهما حاولت إحياء مشاعرك القديمة وإعادة العلاقات القديمة لشيء يعود، وأنت يا كاظم بين اليقظة واللايقظة، إن تشكيل وجدان الفرد يتغير، لم أفكر كيف أقرأ الواقع الجديد، أتعلم أن أغيث نفسي من التحول والتغيير ..... ص ١٥٤

و أيضًا كان غالبًا عبر تيار روحي صوفي عند فتحي:

..... قل لي كيف خلعت جبة الحلال وأتيت جبة الحرام مهرولًا؟ كيف تترك دفء الفضيلة لنار الخطيئة ولا تندب حظك الشرير مع النساء؟ وتدعي أن داخلك قسيس عابد وحاخام متجرد في الصحراء وصوفي تائه في بلاد الله ينشد الغفران من رب العالمين ... . ص ١٢٥

كان هناك بعض الدلالات البلاغية من بيان وبديع نذكر منها :

الطباق :

اليقظة # اللايقظة، التقدم # التأخر، تموت مشاعر # تولد مشاعر ، سكوت النساء خطر #ثرثرة النساء أمان، يا بعيدة

عني # وقريبة مني، هادئًا # صاخبًا، الحلال # الحرام ، لا تراهن على الغرب # ولا تراهن على العرب

ترادف : استهزاء وسخرية، عقلي وذكائي، يأس وإحباط

الجناس: مهزوم – مأزوم، الإثارة – القيثارة

البيان : استعارات بالمجمل

- **ناداني الليل فحلمت بتنور يفيض نورًا وحنيًا خفيًّا للثلج والحرارة**
- **ناداني عمري الضائع بين الوطن والحروف التي بعثرتها على جسد النساء**
- **ناداني الوجد إليك فتنشت تحت جلدي عليك فوجدتك ترقصين في انتشاء**
- **إن عطر جنون العشق يوجع الروح قبل القلب ويخجل الحرف عن التعبير**
- **لا تستندي على أحلامك كثيرًا، كوني في وجود واقعك**
- **فالوطن دائمًا يحك رقبته بالشهداء وينساهم**

ثقافة الأديب :

وظّف الأديب معارفه الثقافية والمعرفية في متن النص، علاوة على النتف السردية التي أوردها من القصص العالمية، فقد سرد فقرات مطولة من خلال التهويمات التي تعتري فتحي يمكن أن تصنّف تحت بند المعلوماتية التاريخية والتراجم :

- **أنا الشيخ المحاسبي أنا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، نشأت بالبصرة، وعشت فيها فترة لا أعرفها بالضبط، ثم ذهبت إلى بغداد واشتغلت بالتدريس، وأنا من مؤسسي مدرسة بغداد الصوفية، درست علم الكلام والفقه على يد أشهر علماء زماني، وربما كان الشافعي بينهم، وكنت على اتصال ببعض البيئات الفلسفية. أثارت طريقتي معارضة من جانب أتباع ابن حنبل حيث استعملت البيان العقلي في التعليم الديني. .... ص ١٩٧**

كما أورد فقرة في ذات الحوار فقرة من كتاب الأصفهاني (حلية الأولياء) جزء١٠- ص٧٦- ٨٠

كانت مقطع أغنية أم كلثوم (كان لك معايا أجمل حكايا في العمر كله) متكرّر في مواقف كثيرة.

استخدم بعض الألفاظ والمفردات الغربية الدارجة دون أن يضعها ضمن قوسين للتدليل على غرابتها :

أخذت شاور، شغلت جهاز الراكوردر ....

مزج في الحوارات بين اللغة الفصحى والوسيطة واللهجة العامية السورية أو المصرية، ولجوء بعض الكتّاب للهجة العامية في الحوارات بقصد تحقيق الطزاجة والحيوية قد يكون مردودًا، إذ يمكن تحقيق ذلك باستخدام اللغة الوسيطة، أي الألفاظ الفصيحة بذاتها، والمنطوقة والمتداولة باللهجة.

معرفة الأديب الأكاديمية بالأجناس الأدبية:

وهي لا تخطئه عين ولا إدراك، الكاتب له مسيرة رائدة وطويلة في العمل المسرحي والمسلسلات الإذاعية والتلفزيونية، وقد مثّلت مسرحياته ومسلسلاته في الكثير من البلدان العربي، لذلك من كان من الطبيعي سيكولوجيًّا أن تطغى المهنية السيناريوهية على روائيةالأديب، يوازن ذلك أن الكاتب كتب العديد من الروايات الأدبية، لذلك شهدنا عنده تدارك لموضوع العمق الأدبي أو الانزياح، فعوّض عن فقد الفسحة الإيحائية بإغناء العمل بالتساؤلات الفلسفية، لذلك سنجد أن المستوى النفسي بالمدخل السلوكي مزدحم بالطروحات الفلسفية بين إشكاليات وجدليات وتيارات، وكذلك سيكون المدخل الاستنباطي التقمصي. وكان للمقال الصحفي مكانه في العمل _ حوالي ثلاث أو أربع مقالات صحفية- وكذلك وقوفه بالأخذ من المشهد المسرحي عند حدود الحوار، هل فعل الكاتب ذلك عفويًّا أم بوعي؟ لقد فعل ذلك بإدراك ووعي كاملَين، ومرد كل ذلك لمعارفه الأكاديمية بالأجناس الأدبية.

ثالثًا- المستوى المتحرك:

المستوى الذي أدرس فيه ذرائعيًّا التشابك السردي بعناصره والتقنيات السردية العديدة التي استخدمها الكاتب في طرح أهم عنصر من عناصر التشابك السردي ألا وهو <u>الموضوع</u>

الرئيسي، أو بالأحرى المواضيع التي طرحها الكاتب على بساط السرد، مواضيع نصية متناسلة ومتشعبة نجح في دسها وتوظيفها داخل النص الرئيسي، الذي هو الوطن (أم طردت أبناءها فتاهوا في ملكوت الله وإغواء الشياطين)، ضمن هذا الإطار السردي الرئيسي، تنصب العلائق السردية الأخرى، لذا سنجد أننا مضطرون لدراسة متن السرد على اعتباره منضويًا تحت مسمّى (اللعبة الميتاسردية) في التشابك السردي، بمعنى أن فعل الكتابة السرد هو فعل إجرائي قصدي تم بوعي تام من قبل الكاتب أو السارد أو الراوي، لقد جعل الكاتب البطل الرئيسي (فتحي) صحفيًا كُلف بالكتابة في الكثير من المواضيع، تناول فيها شخصيات سياسية واجتماعية، دينية وروحية، كما أن إقامته في بلد عربي منفتح على كل المتاحات المادية، و ضعفه أمام النساء والعلاقات الجنسية، جعله يتماهى مع كل عالم يعيش فيه،افتراضيًّا كان أم واقعيًّا، بهذه اللعبة الميتا سردية أخذنا الكاتب باتجاه المنحى الصوفي العرفاني، في رحلة من التهويمات الميتافيزيقية التي مزجت بين التخييل والأحلام، قابل ذلك منحىً وجوديًّا لمسناه عند كاظم الذي تماهى بعلاقته مع ليزا الفرنسية، الوجودية التي تستنكر امتناعه عن شرب الخمر على اعتباره حرام في معتقده الديني بينما يزني بها.

إن الميتاسرد هي لعبة ماكرة،أو لنقل أنها لعبة حذقة لا تخلو من دهاء يمارسه الكاتب حينما يحشو متن النص بنصوص شعرية وعرفانية وأدبية وآيات قرآنية، وتجليات صوفية وتهويمات تخييلية، ومذكرات، ومقالات صحفية، ومعلوماتية، وتيارات فلسفية، ومادية، إضافة إلى الخط السردي الرئيسي أو الثيمة الرئيسية. فنقف أمام ثيمات فرعية كثيرة متناسلة بنصوص سردية مكتملة، تكاد تغطي الثيمة الأساسية المتبرعمة منها.

سأتناول في هذا المستوى من عناصر التشابك السردي : الموضوع الأساسي والمواضيع الفرعية التي صبّت في الثيمة الأساسية أو تبرعمت منها:

الموضوع الأساسي:

هي تجربة نقل فيها الكاتب شخوصًا مأزومين من وطنهم الأم، إلى الوطن الحلم، فكيف تمسرحت حياتهم الجديدة؟ هل انتهت أزمتهم بالبعد عن بؤرة الأزمة كما يُفترض بالمنطق؟ وعلى أي مقياس يمكن أن نفسر سلوكياتهم في الوطن البديل ؟!

الإجابة على هذه التساؤلات تحدد لنا الثيمة الرئيسية...

من خلال رصد سلوكيات الشخصيات مجتمعة، نستطيع أن نحكم أن الثيمة العامة التي تفسّر سلوكيات الشخوص هي

الاغتراب!، لم يستطع الوطن الحلم أن ينتزع أزمات الشخوص، أو ندباتهم التي خلّفها أو التي وشمهم بها، كل مافعلوه أنهم حملوا الوشم معهم، وزادوا عليه وشمًا جديدًا هو وشم الاغتراب، هذا الوشم الذي سيقود الشخصيات نحو تغيّر جذري، سيبقى معهم وينهي حكاياتهم، سيأخذهم باتجاه تيارات نفسية وسلوكية متباينة بتباين ندبات المتجذرة والمتأصلة في روح وفكر ونفس كل شخصية.

فتحي رضوان الصحفي والكاتب المصري المثقف الذي يحفظ مخطوط وطنه حرفًا حرفًا من عهد الفراعنة إلى كل يوم جديد تمنحه له الحياة، الذي لفظته مصر حينما دهست عجلة السياسة فيها أفكار الأحرار، وقنّن الاقتصاد رغيف الفقراء، كان ممن يطارده الأمن مرة بتهمة أنه ناصري وأخرى أنه شيوعي، ويطارده الأخوان لأنه يخوّن الرئيس المؤمن أنور السادات، وهو لا يؤمن بأي من التيارات السياسية، يؤمن فقط بالكرامة الإنسانية حق لكل إنسان، وفتحت له دبي أبواب الحلم، رزق في جريدة، وحياة مبرهجة فيها كل شيء مباح سوى النصب على الدولة والتلاعب بالأرصدة المالية، تضم كل الجنسيات، ألوان وأجناس، منهم من لفظتهم أوطانهم مثله، ومنهم من ساقتهم ثرواتهم إليها ليربوا بها، فتحي رضوان مصري مسكون بالهم والخوف على الوطن حدّ

التهويم، تنتابه هواجس تغيّبه عن الواقع تأخذه إلى تصورات وهلاوس كهذه:

" وجدت في الصفحة الأخيرة من العمود الأخير كتب خبر بخط صغير (وجد الوطن ميتًا في ضاحية المدينة حافي القدمين وقد سرقت كليته وقلبه وقطع لسانه ونشرت أصابع يديه)" .

فتحي رضوان زوج محصن يلتقي في ذات الجريدة بمنقذ وزوجته سهر ، الزوجان السوريان اللذان اقتلعهما الوطن من جبل الدروز في السويداء، وألقى بهما خارج حدوده،فرّ منقذ من بطش القوى الأمنية مصطحبًا معه زوجته سهر التي كان فرارها الفعلي من فقرها وفقراء السويداء طمعًا بالإثراء السريع في دبي، يقع فتحي في حب سهر الحساء الفاتنة، المحاطة بأعين اشتهاء جنسي من كل ذكور الرواية، لكنها لا تسلّم نفسها طواعية إلا لفتحي، بعد كل لقاء جنسي بينهما تنتاب فتحي تجليات عرفانية، ومناظرات تخييلية مع أئمة الصوفية في محاولات لاستنهاض الضمير والأخلاق، وتحديد الخيط الفاصل بين الفضيلة وبين الخطيئة، الجنس والحب، والحلال والحرام، لكن الحرام يكسب، والجنس والرذيلة عند فتحي يتكرّر مع سهر وحياة العراقية زميلته في الجريدة، وهي – حياة- لا تختلف عن ليزا الفرنسية المدرّسة الوجودية التي تغري كاظم السوري الشاب الأشقر القادم من ذات المدينة

(السويداء) المدرّس في المدرسة الأمريكية بدبي بترك زوجته وردة والفرار معها إلى باريس ليعيش حياة وجودية كل ما فيها مباح، وهو يبرّر كل سلوكياته بناء على المؤهّبات الواقعية التي ضخّمت الأنا في نفسه الضائعة بين كل التيارات الفكرية التي تنقّل بينها:

" كل أحلامي خُطفت مني لسوء الواقع المعيشي، تختفي في مجتمع يُسرق فيه كل شيء حتى الأحلام وأفكارك الإيجابية والسلبية منها ....".

إذن، الخطيئة تكسب والجنس يكسب، والحرام يكسب دائمًا ما بقي فتحي في دبي، إلى أن يقوم الوطن الحلم بلفظه بطريقته (التفنيش) أي إنهاء عقد عمله، يعود مع زوجته تهاني وطفله إلى مصر إلى الاسكندرية، لتتكرّر تجربته السابقة في المعاناة من شظف العيش والتهميش المتعمّد في الوسط الأدبي، يدخل مسجد أبو العباس في ليلة مولده، فيبتلعه المولد ولا يُعثَر له على أثر، وتتبارى الجماعات وأصحاب التيارات السياسية والفكرية المختلفة بمحاولة التكهّن بمصيره، كل حسب اعتقاده يتهم الآخر بالتخلص منه.

سأعود لطرح سؤال بعد أن أعرض لسلوكيات سهر والحالة التي انتهت إليها منقادة بوشم الاغتراب الذي وجّه باقي ندباتها باتجاه العهر والرذيلة، سهر كانت من الجميلات لكن

من الفقراء في بلدها، تزوجت منقذ تحت إغراء السفر إلى دبي وقبر الفقر في حياتها إلى الأبد، لم يستطع منقذ أن يقتحم عوالمها الساحرة بفحولة الرجولة، بينما استطاع أن يستنهض رجولته مع الخادمة الفلبينية،حب سهر لفتحي وعلاقتهما الجنسية الناجحة جعلها شبقة، دون أي وازع من ضمير أو دين أو أخلاق، لا تفكّر أبدًا بأنها تخون زوجها، كل همّها وحرصها على أن لا تكون مباحة لغير فتحي، لكن جشعها للمال والمجوهرات يجعلها صيد سهل في شباك شدّاد من نفس مدينتها أيضًا، رجل خمسيني ثري مشكوك بنظافة ثروته، يمارس الجنس معها بعد استدراجها لشقته، تستيقظ لتعلن أنها أصبحت عاهرة حقيقية، أفلم تكن عاهرة مع فتحي؟ هي لا ترى ذلك! نراها تواجه نفسها في لحظة وعي بالنقد واللوم، و بشيء من الندم، لكنه الندم الآني:

" آه يا أبي أيها المقاتل القديم ضد الفرنسيين، لم يعد هناك قتال ولا أخلاق ولا مبادئ، كل شيء حولنا أصبح مباحًا، والمال هو جهنم التي يحرق الله الناس بها، فالناس تجري خلف المال بلا استثناء...".

لم تتقبل حياتها الجديدة، فترتدي الحجاب ! حالها حال الكثيرات ممن تتلوّث أجسادهن وأرواحهن بدنس الرذيلة وحينما يصحو الضمير تتوجّه سلوكياتهنّ نحو ستر الجسد،

ظنًّا منهنّ أنهنّ يتطهّرن، ثم ماذا؟ ! تخلع الحجاب بعد فترة وجيزة، وتعود لعلاقتها الآثمة مع شداد، سلوك منطقي لأن التطهّر لم ينل الروح، كما أنه أيضًا لم يسبغ الجسد، فمازالت النفس جشعة توّقة للمال، ومازالت موبقات الدنيا مبرهجة.

نقف قليلًا أمام كل من فتحي وسهر وكاظم، وسؤال ضمّره الكاتب في تتبع سلوكياتهم ونهاياتهم، هل الإنسان عاجز فعلًا عن تغيير حياته؟! أم أنه لا يملك العزم على فعل ذلك؟! يقول الله في سورة طه: { ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسيَ ولم نجد له عزمًا ١١٥}، أم أن الإنسان يكون ذا عزم إن أخلص التوبة، وآمنَ بالتغيير الآمن الذي يستغرق وقتًا للنضج، وليس بالتغيير الراديكالي الذي يجتث من الجذور مقتلعًا كل شيء، الأصول والفروع، فتتخلى الذات منسلخة عن نفسها غريبة تتعايش مع غربتها إلى الأبد، كما حصل مع كاظم الذي اتهمه حزب البعث بأنه شيوعي،فاختار أن يصبح وجوديًّا ويسافر مع ليزا إلى باريس و يتجوّل فيها مستحضرًا سارتر وكل من تبعه ليصبح وجوديًّا فرنسيًّا، أو تحكم على نفسها بالتلاشي والاختفاء كما حصل مع فتحي، أوتتفلّت من عقالها مستسلمة لإدانتها ودونيّتها كما حصل مع سهر؟!

هل كان الكاتب يرمّز لحال دول وأوطان؟ أظنّه فعل....!

وحدها شهرزاد من فهمت لعبة الحياة، ووازنت كفة الميزان، هي بكفة، وجميع الشخصيات الأخرى في الكفة الثانية، بكلمات قليلة أخبرت سهر بالحقيقة الرشيدة، فكانت كلماتها لمن يفقه:

"الحرية ليست فوضى المشاعر، والشيوعية ليست شيوع الحرام، والإيمان ليس الصلاة فقط، والحب ليس الجنس فقط، والرزق ليس المال فقط، والروح ليست البكاء حين الصلاة، والناس تعيش وتبرر ولا تهوى ويظنون أنهم يخدعون الله. "

وأتبعت القول والفهم بالعمل، كان قرارها بالتغيير تغييرًا آمنًا، نضج على نار الصبر والتفكّر، أنهت غربتها بالعودة إلى حضن الوطن الأم، وعاشت بين أخوتها الفقراء، تطعمهم وتكسوهم وتقصّ عليهم حكاياتها.

إن شهرزاد هي التاريخ والأصالة المتجذرة في تربة الوطن.

النهاية هي اللافتة، وهي السؤال الكبير الذي يصرخ به صوت الكاتب بصمت كبير ويأس مر، مضت عشرون سنة على قصة الاغتراب تلك، ولم يتغيّر شيء في الأوطان، بعد عشرين سنة لفظ الوطن ثانية أبناءه الشباب، وكأنه ينحر المستقبل، بعد عشرين سنة في ممر طويل يسير شاب مصري وسيم إلى مكتب مديرة المدرسة : الدكتورة سهر سالم.

- شو اسمك

- آدم فتحي رضوان خليل .

الزمكانية : الزمن العام للرواية زمن طويل فترة السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم، والمكان الرئيسي مدينة دبي ثم السويداء والاسكندرية، أما الزمن الخاص والمكان فقد ذكره في مطلع كل مشهد،أماكن مغلقة بيت فلان، غرفة نوم ، مكتب في الجريدة، مكتب في المدرسة ، كاراج سيارات، مقهى، سوق. سيارة.

رابعًا – المستوى النفسى :

- **المدخل السلوكى :**

وفي تم طرح العديد من الموضوعات والثيمات الفرعية عن طريق تساؤلات أو إشكاليات أو جدلية سأحاول رصد بعضها :

مفهوم الوطن والمواطنة :

على لسان فتحي المصري الذي يرصد الدور الاقتصادي :

- عندي اكتئاب شديد وعميق من الوطن، هل الوطن هو السبب؟
- مجرد تخمين.. فالوطن دائمًا يحك رقبته بالشهداء وينساهم... أنا لا أريد من هذا الوطن إلا رغيفًا طازجًا ساخنًا وقطعة جبن وخمس بيضات مسلوقة، ... كل مواطن

في بلادي يحتاج كوب شاي ساخن وكوب ماء بارد ورغيف خبز وبعض الملح.

إن كانت العلاقة بين الوطن والمواطن علاقة تبادلية، واجبات وحقوق،كيف يلبي المواطن نداء الواجب فيموت شهيدًا مؤديًّا حق الدفاع عن الوطن، ولا يقوم الوطن بواجب توفير لقمة العيش لمواطنيه؟! على هذا السؤال بنى الكاتب ثيمة مشروعه السردي .

على لسان كاظم السوري الذي يرصد الدور السياسي :

ترحل إلى أين ياكاظم، أمك لم تر القطار وأبوك لم يركب الطائرة وأنت لا تعرف إلا حافظ الأسد رئيسًا للجمهورية وحزب البعث الذي قال أنك شيوعي، تفر معها إلى أوروبا ؟

- هل الوطن مضاف أم مضاف إليه؟
- هل قسمتم الأوطان وأنا غائب يا أولاد الكلب ؟
- من أين تأتي النجاسة للروح فنفرط بالوطن من أجل حفنة دولارات؟

وكان هناك استشراف لتقسيم الأوطان :

- حملني بساط الريح فذهبت إلى ليبيا وجدتها قسمت إلى ثلاث دول، فذهبت إلى الجزائر وجدتها أيضًا قسمت إلى ثلاث دول فرانكفونية ودولة أمازيغية ودولة إسلامية عربية، ذهبت إلى المغرب وتونس قسمت إلى ثلاث مثل

الجزائر، ونفس الشيء في تونس، ذهبت إلى السعودية وجدتها قسمت إلة خمس دول، وسوريا إلى ثلاث دول والسودان إلى ثلاث....

وأيضًا أورد تقسيم الإنسان العربي وتشظيه بين عروبته وغربته، وبين ماضيه وحاضره، وبين أيديولوجيته ومعتقده، وبين البداءة والحداثة :

- ونظرت إلى نفسي وجدتني خمس شخصيات الأولى أوروبي الملبس والقبعة الأوروبية، والثاني شرقي الفكر يرتدي عمامة، والثالث ناسك في الصحراء، والرابع ينتظر العفو على باب الجنة ليدخل، والخامس بدائي يعيش في غابات فوق شجرة مع الحيوانات
- كيف أكون خمسًا وكيف يكون الوطن مجزءًا ؟

وكيف لا يكون؟ أسئلة استنكارية بين طياتها خيبات وانكسارات كبيرة، هذا ما قدّمته الأوطان لمواطنيها الفقراء، ثم لفظتهم.

تساؤلات وجودية :

- ما العيب أن يظن الإنسان نفسه نبيًّا؟ فعل ذلك جبران خليل جبران والمتنبي وغيرهم، وظن بعضهم أنهم آلهة مثل نيتشه والحلاج وغيرهم .. إن الله سيحاسبنا جميعًا من ظن أنه نبيًّا أو وليًّا وإلهًا، ولله في خلقه شؤون . ص ٥٤

- هل الرحيل مكان أم زمان أم الاثنان؟
- من أين تأتي الأشياء الوقحة ؟ وأنا من نسل أخناتون ويوسف وموسى وإدريس وعيسى ومحمد؟ وأنا ابن النيل النظيف النقي عند المنبع؟ يبدو لي طبيعيًّا أكثر لو حضرت حفل تتويج نابليون وماوتسي تونج رئيسًا وجمال عبد الناصر زعيمًا....
- ما آخر الطابور؟ الحياة؟ ما آخر الموت ؟ ما آخر الجنس ؟

تساؤلات روحية وجدانية : يطرحها الضمير في لحظات الصحوة والتجلي :

- لماذا نتهيأ للخطيئة والحرام أكثر من تهيئنا للحلال والفضيلة ؟
- لماذا تتوعك الروح وتكسل في مزاولة الواجب الزوجي المقدس على الأرض وتنتظرنا الحوريات في السموات لتمارسه معنا؟
- هل المعصية صعب علاجها ؟ هل تنظن أن الله لا ينظر إليك وأنت تعلم من فنى عمره في المعصية غاب عن كل شيء؟ فالله منحك نور العقل ونور القلب ونور الروح ... لم يحجب الله عنك شيئًا وأنت لا تستحي من الله.
- من أين يأتي الحزن إلينا ؟ وكيف نهرب منه؟

- كيف تحل الحرام وتحرم الحرام وتجمع النقيضين وتبرر لنفسك ؟
- وكيف تغسل الروح من الخطيئة ومن كل من على الأرض زنا ؟
- ما هي المحبة ؟ أن تحب ما أحب الله
- ما هو طريق المحبة ؟ الطاعة، دلنا الله على طاعته فجعل المحبة لها ودائع في قلوب محبيه ثم ألبسهم النور الساطع في ألفاظهم من شدة نور محبته في قلوبهم.
- هل نتوضأ بالماء أو الهواء أو النور أو الجميع؟
- هل العشق سوء ؟ نعم في الحرام سوء .. لكننا نسعى له، لأن العشق اختراق للقلب والروح ورغبة جسد، والجسد حرام.
- كيف لآدم أن ينسى كلام الرب ويقضم التفاحة وكيف لي وأنا لست نبيًّا ولا وليًّا، مجرد عابر سبيل في تاريخ العاشقين والبرية ؟

<u>تساؤلات وجدليات ثقافية:</u> تعكس حال الأوساط الثقافية في الوطن العربي، في الأوطان الفقيرة والغنية على حدّ سواء، وهي حالة لا ترقى إلى مستوى ما يجب أن تكونه، يشكك الكاتب بحقيقتها في كليهما :

- هل الكتاب أنبياء وعي ؟ وهل الوعي مكتسب أم فطري ؟ هل العقول العربية جيناتها ضعيفة ؟
- هل الثقافة حقيقة في بلد مترف من الطعام والثراء؟ هل الثقافة حقيقة في بلد جائع ؟
- لماذا تكتب السرد شعرًا؟ لأن لسان الزمان هو الشعر ولسان قلمك يطغى فيجرح.
- السوء عندي هو النساء الجميلات، والكتابة الجميلة المغايرة التي تفتح باب المستقبل ولا ركن للواقع الساكن المستسلم للغباء

موضوع الجنيس

استطاع الكاتب من خلال التساؤلات أن يتناول موضوع الجنس بشكل حداثي بعيدًا عن النظرة المتحفظة الفيكتورية، لكن ليس بشكل إباحي، وإنما كمفهوم وظاهرة طبيعية وعلمية قائمة بذاتها، تختلف عن مفهوم الحب والعشق والزواج والإعجاب، وتكتسب صفاتها بكونها متمّمة لمعتقد اختياري، فهي حلال بين زوجين، وخطيئة وخيانة بين غير الزوجين في كل الأعراف والأديان.

- ماذا كانت علاقتنا الأولى إعجاب أم رغبة جنسية ؟
- هل النساء وعاء طبيعي وصحي لتفريغ شحنات الغضب واليأس والإحباط؟

- هل الجنس هو المعادل الموضوعي لتوازن الفرد؟
- هل الجنس هو نقطة ضعف البشر كما قال فرويد وأنه المحرك الرئيسي للكون ؟
- هل غريزة الجنس هي الأمانة التي حملها الله للإنسان كي يطور الأرض ويعمرها ويجعل الإنسان خليفته على الأرض؟
- تملك شرف الكلمة وخيانة رجل آخر تعشق زوجته أو أخته؟ (ازدواجية) حكمة التجربة.

- المدخل استنباطى :

وهو مدخل الحكم والمواعظ والتجربة والخبرات الحياتية التي يطرحها الكاتب من خلال نصّه، يستشفها المتلقي والناقد حينما يتقمّص الحالة الشعورية للكاتب حين كتابتها، وهي أيضًا تدلّل على المواضيع التي يطرحها الكاتب، رصدت منها ما يلي:

- تزني مع النساء لكنك لم تزن بأفكار الناس البسطاء، ولا تنافق المسؤولين في الأوطان وغير الأوطان (إزدواجية)
- العالم يستحق أن تخلع له الحذاء وتمدد ساقيك في ارتخاء في وجه الجاهل (مكانة العلم من الجهل)
- حين تتزوج امرأة من رجل أقل ثقافة منها عليها أن تتواءم وتتنازل وتعيش يومًا بيوم ولا تجادله كثيرًا حتى لا تفقده، لأن الحب يجعل المحب يتنازل عن أشياء كثيرة من أجل حبه للآخر (الزواج غير المتكافئ).

- ليس للحب شبح مائل ولا صورة فيعر ف بجبلته، وإنما يعرف المحب بأخلاقه زكثرة الفوائد التي يجريها الله على لسانه بحسن الدلالة عليه، وما يوحى إلى قلبه، فكلما ثبتت أصول الفوائد في قلبه نطق اللسان بفروعها . فالفوائد من الله. (مفهوم الحب في أسمى معانيه)
- انتبهي يا أمة الله فإن الشهوة تودي إلى التهلكة (حكمة).
- الأنس بالله نور ساطع والأنس بالخلق غم واقع.
- الحب هو الشوق لأنك لا تشتاق إلا إلى الحبيب فلا فرق بين الحب والشوق، إذا كان الشوق فرعًا من فروع الحب الأصلي (الحب وفروعه)
- أنت مجرد كاتب يعني عابر سبيل في التاريخ، الكتابة الحقيقية قليلة مثل العدالة والمساواة والحرية والكرامة.
- الكاتب ليس له وطن حقيقي إلا ورقه الذي كتب فيه. (تقرير حالة).

المدخل العقلانى:

تناص الكاتب بهذه العمل مع تجربته الشخصية والتجارب التي شهدها أو سمع عنها عندما كان في الخليج، ويمكن أن نلمح بعضًا من سيرته وآرائه الفكريّة عند فتحي رضوان، الكاتب الذي يؤرقه حال الأوطان العربية والإنسان العربي التائه في

جنبات الحياة وتياراتها العاصفة، وحال الثقافة المتردية أمة يُفترض أنها أمة (إقرأ).

أما فنيًّا، فالأديب السيد حافظ يتناص مع كل الأدباء الذين مارسوا لذة التجريب، وأدخلوا لعبة الميتاسرد في أعمالهم، أمثال : الكاتب المغربي محمد برادة في روايته (لعبة النسيان)، تناص مع نجيب محفوظ برواية (الحرافيش) باختزال الأبعاد التاريخية والحضارية عن طريق التهويمات التخييلية والميتافيزيقا والأحلام والمناجاة ، تناص مع صنع الله ابراهيم في روايته " ذات" باستخدام تقنية الكولاج، ومع الروائي الكويتي اسماعيل فهد اسماعيل في روايته "الكائن الظل" من ناحية استخدام الواقع الافتراضي، من خلال التجريب الفني بالارتباط بأفق التغيرات المعرفية والتكنولوجية حين يجعل من عمله ككاتب وصحفي جسرًا للتعبير عن وعي الإنسان وإدراكه لحركة التطور التاريخي والإنساني.

الخاتمة :

لا شك أن ما قدّمته في هذه الدراسة المتواضعة غير كاف للإحاطة بكل جوانب هذه التجربة الإبداعية الكبيرة والمميزة لأديبنا، والنقص مني دون الريب، لكن هذا صيدي من هذه التجربة الثرية ، مكنني المنهج الذرائعي من استخراجه من عمق هذه التجربة، والشكر الجزيل لأستاذي المنظر عبد الرزاق عوده الغالبي صاحب النظرية الذرائعية الجديدة التي تواكب بالنقد كل جديد تطرحه أقلام الأدباء من أهل التجديد والمعاصرة، تحمل أفكارهم ورسالاتهم الوجدانية إلى مجتمعاتهم، بهدف غرس كل المقومات الخيّرة التي من شأنها أن تنهض بالأمم. وهذا ما دأب كاتبنا الكبير السيد حافظ على عمله خلال سنوات طويلة من الإبداع الفكري والفني، والنتيجة أعمال في غاية الروعة على كل مستويات القلم، وقصدية مبهرة، وثروة لا تقدر بثمن.

د. عبير خالد يحيى

الإسكندرية ١١ فبراير ٢٠٢١

المصادروالمراجع

١- مفهوم التجريب في الرواية- الدكتورة : سهام ناصر ورشا أبو شنب – مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد(36) العدد (5) 2014 – صفحة 307

٢- لذة التجريب الروائي – دكتور صلاح فضل- دار أطلس للنشر والانتاج الإعلامي ش. م. م ٢٥ ش وادي النيل – المهندسين – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٥

٣- الحوارية السردية ابتكار وتجنيس الدكتورة عبير خالد يحيي- الذرائعية وسيادة الأجناس الأدبية – تأليف /عبد الرزاق عودة الغالبي – تطبيق/ د. عبير خالد – دار النابغة للنشر والتوزيع- طنطا – الطبعة الأولى ٢٠١٩- صفحة ١٧١

٤- "وهو مصطلح يطلق على الفن التلصيقي الذي يتم فيه دمج ولصق مجموعة من المواد معًا في لوحة واحدة، وتتم عن طريق قص قطع قماش أو صور ورقية وتجميعها معًا بشكل خاص على نسيج ثاني أو على لوحة ورقية أو خشبية ليصبح عمل فني واحد" – موقع معلومات – ما هو الكولاج ١٢يناير ٢٠٢٠

٥- لذة التجريب الروائي – دكتور صلاح فضل- دار أطلس للنشر والانتاج الإعلامي ش. م. م ٢٥ ش وادي النيل – المهندسين – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٥ صفحة ١١

٦- الذرائعية بين المفهوم الفلسفي والمفهوم اللغوي _ تأليف /عبد الرزاق عودة الغالبي _ تطبيق / د. عبير خالد – دار النابغة للنشر والتوزيع – طنطا – طبعة أولى -٢٠١٩

٧- الذرائعية في التطبيق طبعة مزيدة منقحة – تأليف / عبد الرواق عودة الغالبي – تطبيق / د. عبير خالد – دار النابغة للنشر والتوزيع – طنطا ٢٠١٩



استكناه مناطق القلق الوجودي والتبشير بانزياحات رؤيوية جديدة في رواية " لو لم أعشقها " قراءة في رواية " لو لم أعشقها " للكاتب سيد حافظ

بقلم أ. أشرف دسوقى على – مصر

بين الإصدار الأول قهوة سادة ٢٠١١ الجزء الأول وصولا إلى شاى أخضر بالياسمين ٢٠١٤ وهو الجزء الأول الذي تناولته بالقراءة إلى العلامة السابعة والأخيرة، لو لم اعشقها، كان قد مر ثمان سنوات كانت كفيلة بإنجاز مشروع روائي مدهش، يحمل من عناصر الإبداع ما يستحق التوقف عنده، من نثر وشعر وتداخل للفنون والأساليب ، علاوة علي الغوص في أعماق الشخصية، واكتشاف مكنوناتها، كالقلق المتزايد لدى البطل والمواقف الفانتازية التي يحياها.

تبدأ العلامة الأولى بمقدمة كاشفة للقلق الوجودي، فهناك عبارات من رواية غبار الخاطر لأبى الكلام آزاد يقول مقولته التى تمثل خلاصة فكره : لا تلق بظلالك الشريفة على الديار التي تقل فيها الببغاء عن الغراب الأسحم، تبدأ العلامة بحوار مسرحي بإمتياز ،هذا يتسم الحوار بالغيرة النسائية وتنازع امرأتان حول عشق رجل واحد، ثم حوار بين البطل وضميره، وتذكر الوطن الطيب المتسامح – مصر – التى كانت تحتوي الجميع مع تضمين الآية القرآنية : ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، كما يبدأ بتعريفه للحب في العلامة الثانية بتضمين، مقتطف من رواية الاحتقار لألبيرتو مورافيا يستعرض فيها شكل العلاقة بين المحب والمحبوب ، وكيف

يبصر كلاهما الآخر وكيف تتحول السلبيات إلى مميزات وهو ما يشي بما يتبناه الكاتب لمفهوم الحب رغم كلماته التي تبدو قاسية في إدنة المجتمع وسلوكياته، إلا أن هذا المقتطف من رواية مورافيا يشي بحب دقيق وعشق خاص لهذا الوطن بكل ما فيه ورغم ما فيه.

تنوعت الأماكن بين منزل فتحي رضوان والجريدة ، المجلة، كافيتريا، دبي، القاهرة وغيرها من أماكن عبر أرجاء الوطن العربي ، وذلك الصراع الذي تظهره المونولوجات الداخلية التي تدور في ذهن كل من فتحي رضوان ومنقذ حول العلاقة بين فتحي وزوجته منقذ – سهر – ومحاولة توقع فعل ورد فعل كليهما تجاه الآخر، كيف سأبدأ الحديث مع فتحي الكلب الخائن ...

هل أشير له ؟ هل أقول له أعرف أنك على علاقة مع زوجتي؟ هل أخبر أهلها وأطلقها ويقتلونها ويقولون... ماذا؟

هذا هو البطل الذي قتل زوجته الخائنة أم سيقولون هذا المخلوع خانته لأنه لم يملأ عينيها، هل أخرج سكينا وأطعنه كما يحدث في الأفلام ؟

وما إن ينطلق منقذ في حواره وبكائه وشكواه من خيانة سهر، فإذا بالحوار يتغير بل يتلاشي الزمان والمكان لنجد أنفسنا في القاهرة وقراءة الجريدة وخبر صغير عن الوطن، وجد الوطن

ميتا في جناحي المدينة حافي القدمين وقد سرقت كليته وقلبه وقطع لسانه ونشرت أصابع يديه، قمت مسرعا تجاه البالكون، صحت يا قوم ياقوم الوطن قد مات وسرقوا قلبه وكليتيه ونشرت أصابع يديه .

لم تفتح البالكونات، لم يرد أحد، نزلت إلى الشارع، وجدت كل الناس تسير مقطوعة الأذن والمرور يسير ويتعاملون بصياح صامت كأنه لغة إشارة خاصة بهم، أدركت لحظتها أنني وحيد ودخلت إلى مسجد على شاطئ القصبة أصلي ... إلهي إلهي اسألك أن تقطع أذني مثلهم، اكتشفت أنهم عميان أيضًا ... (كتب بالسحب على السماء والله ترك هذا الوطن لأنه زان) مما يمنح السرد عجائبية من نوع مغاير لكثير عما قرأناه، مختتما العلامة بالآية القرآنية ظهر الفساد في البر والبحر للمرة الثانية مستخدما اياها، أما العلامة الثالثة وأكثرهم الكافرون فكان الاهداء إلى روح ، ونجد تعريفا مغايرا للحب بأنه مأخوذ من الحبة وهي بروز نبات الصحراء،فسمي الحب حبا لأنه ... لباب النبات والحب كالعمر.

نجد أن الكاتب يعتمد المعرفية وخاصة المعرفية اللغوية والرجوع إلى جذر الكلمة وفلسفة الاشتقاق، مما يشي برغبة جامحة للصراخ والتنويه عن رغبة الدعوة للمعرفة والعودة إلى الجذور بعد أن انحرفت الأفكار وانحرفت المعرفة نظرا

لانحراف اللغة، فكثرة الانزياحات اللغوية غير كثيرا مما كانت الأمور عليه، فتبدلت المعرفة وتبدل السلوك بناء على ذلك بل، انحرف السلوك ، فعشنا ما نعانيه الآن وكأنه يقول عودوا إلى الجذور اللغوية والمعرفية والفكرية ، حتى تستعيدوا ذواتكم ولتستعيدوا أنفسكم مرة أخرى، يلي ذلك مقتطف من حفلة القنبلة لغراهام جرين وكأنه يستعيد رواية أهل الكهف، حيث السبات العميق الذي تستفيق بعده، لتبحث عن موت جديد، قبل البحث بل بدلا من البحث عن حياة ثانية، لتتساوق الحالات الثلاث: أهل الكهف وحفلة القنبلة ولو لم أعشقها، كل منها معادل موضوعي للآخر، ثم تستكمل الرواية بهذا المونولوج حيث يناجي فتحي نفسه قائلا : أين ستذهب يا ابن رضوان، إلى مصر ؟ حيث ينتظرك الغالبية من المثقفين، يحملون خناجرهم ليغتالونك مثلما اغتالوا محمود دياب ونجيب سرور ويحيي الطاهر ومحمد حافظ رجب .... كم مرة يافتحي قمت بحرق ما كتبت من قصص ومسرحيات ... هل تذهب إلى مكة في السعودية، لتكون بجوار الكعبة، لترى الله ذات ليلة وتكلمه مثل موسى وإبراهيم ؟ ثم ينتقل إلى كافيتريا ويتغير الزمن، حيث سهر امرأة كالغزال في الانتظار لتدخل حياة ،ليبدأ حوارجديد، بلهجة خليجية، تنظر سهر في ساعتها كأنها توبخ حياة على تأخيرها وحياة تستخرج علبة سجائر من حقيبتها

وأشعلت سيجارة وتتحدث مبررة تأخرها، بوجود حواجز شرطة على الطرقات وزحام المكان ثم يدور حوار نسائي لا يخلو من المكر والدهاء والتوريط والسكر وتعليق الكاتب وتساؤلاته حول جهل ما فعلته السيدتان وهو تساؤل استنكاري إن جاز القول يختتمه بآية قرآنية ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ثم آية أخرى، لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ... وتأتي العلامة الرابعة ليمنحنا تفسيرا آخر للحب بأنه اسم الصفاء، صفاء المودة لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان والحباب شئ يعلو الماء عند المطر الشديد والحباب أيضًا حبة بيضاء نقية، ثم الاستشهاد بمقطع من رواية لأوليفر ساكس هذه زوجتي محتفيا بالتفاؤل، ذلك الرجل الذي يغني في كل أحواله، وكأنها دعوة لتجاهل كل ما يؤلمك وأن التفاؤل هو محاولة قهر الحاسدين والحاقدين الذين لا يريدونك إلا مقهورا باكيا كسيرا ، ليتحدث فتحي واصفا نفسه، فهو البطريق والبطريق كائن عاشق للحرية، لايجد قوته إلا بالصدفة، يشعر بالقلق حيث يخشى من معرفة تهاني لعلاقته بسهر، يخشى ما يمكن أن يقدم عليه منقذ، بعد أن عرف أن زوجته خائنة، يستمر فتحي في البحث في أعماقه عن صفاته وما يظنه عن نفسه من صفات السوبر مان الذي يجمع كل مميزات السابقين فهو ذو

الأوتاد وذو الكفل وذو النورين... ذو السؤال وذو اليد وذو القلمين .. أنا المتين ولا أملك روغان الثعلب ، أعرف عناء الطير وأعرف طير النار وسر الشعر وحمق الشعراء، أنا من عاش أسير المجتمع المصرى ورغبة قاتلة في جنسية فرنسية أو ألمانية، فالوطن قاعة استقبال للغرباء مغلقا أبوابها أمام مواطنيه .. أنا من العبيد الكلاب، أنحاز اليهم .

فتحي رضوان ذلك الكاذب الذي يكذب على زوجته، الطاهر الذي يقوم للتوضأ، قام للتوضأ بيده اليمنى عند بئر زمزم والثانية في المسجد الأقصى وروحه تطوف حول مكة وقلبه يحلق على معبد داود، فتحي رضوان مجمع الشرور ومجمع الخير، ذلك المتناقض غير المتصالح مع ذاته ولم يكن يوما متصالحا مع المحيطين به، شجاع جبان، قوي ضعيف،عبد صالح وأفاك فى آن، يرتعد من حاجز أمنى ويهاجم رأس السلطة في شجاعة نادرة، يكذب ويصلي وتباركه الملائكة ذوات الأجنحة، كأنه نبي مرسل ويتبادل معها الحوار والقلق، يصنع الكاتب دهشته، فيصدرها للقارئ المتلقي يحاول صنع بعضا من واقعية سحرية، عبر الحوار أو المونولوج الداخلي، ربما لا توجد شخصيات حقيقية للحوار، ربما كان حوارا مع الضمير أو مع الذات، عبر شيزوفيرنيا كاشفة، يحاول البطل اكتشاف ذاته من جديد رغم صراخه المستمر بأنه يعرف

قدراته ومميزاته ويعرف الآخرين تماما، لكن السياق يدل على ارتباك البطل وعدم قدرته على قراءة الواقع الذى كلما عاشه أدهشه وفاجأه كلما تعامل معه، كأنه طفل كأنه ريشة في مهب الريح ربما كان من حسن حظه أن لا أحد تمكن من اللحظة من الاطلاع على نيته أو ضميره أو روحه القلقة وارتباكاته المتكررة وخطاياه الخفية وإلا لتحول لفريسة شديدة السهولة لأى صياد هاو، فكان محظوظا ورغم معاناته ، بأن وجد عملا مناسبا وزوجة وأصدقاء وحتى أعداء وحاسدين، فهناك من لا يجيدون شيئا من هذا حتى لو كان ما يمكن أن يجدوه بغيضا أو خطرا.

لا يتوانى عن التعرض للموروثات الشعبية فيقول شداد على سبيل المثال:

في بلد عربي تذهب النساء العوانس إلى نخلة معروفة وتقول: يا فحل الفحول ارزقنا عريس قبل الحول وأنا أقول يارب ارزقني سهر حتى ولو ساعة قبل انتهاء العمر.

يظل الكاتب في استفهام مقتطفات روائية، كما فعل في العلامة التاسعة، مثل مقتطف من رواية "وجدت ميتة" لكاتي راكس، فكل الروائح العطرة تلاشت أمام رائحة الجثة العفنة، فالجثث العفنة هي كل ما صادفه اليوم من نماذج كان من المستحيل تصور وجودها ،لقد تجاوزوا كل ما قيل وكتب في الواقعية

السحرية، لقد قابلنا شخصيات فوق سوريالية تتجاوزأوصافها من قابلناهم حقيقة في واقعنا المعاصر.

تتداخل النصوص، في موزاييك شعري، فمن مقتطف من رواية كاتي إلي ما قابله البطل فتحي رضوان بعد أن غالبته رغبة الكتابة، كتابة أي شئ دون تحديد جنسه رواية، مسرحية، قصة، ليغلق ورقته، ليجد نفسه داخل ممر غريب وعالم غريب وينزل إلى الشارع ليصرخ يا قوم: أنتم تسيرون على جثة جسد عار بحجم أرصفة الشارع، أنتم تسيرون على جثة الوطن، ادفنوه في مقبرة تليق به، كانت عيناه – الوطن الجثة – تنظر تجاه النيل والأخرى فيها دمعة متحجرة، فجريت نحوها وأمسكتها وألقيت هذه الدمعة على الأرض ،فقط ألف ألف شهيد، فيباغته الشرطي بقوله: لقد خدعتكن فاضطر لدفع غرامة ألف دولار، فجريمته أنه يشم ويرى الوطن متهما بالزندقة والكفر.

يعاين البطل هذا الشتات، يصادف ورقة عليها شعار مصر إسلامية على مذهب أهل السنة وأخرى عليها مصر مسيحية، فاتجه غربا حيث ثالث دولة مصر النوبية، ففزع وصرخ، هل قسمتم الوطن وأنا غائب يا أولاد الكلب؟، فيضحك شرطي نوبي ويبلغه أنه ممنوع من الدخول، لأنه سارق ومشاغب، فيحمله بساط الريح إلى ليبيا ليجدها ثلاث دول، وكذلك الجزائر

ما بين إسلامية وأمازيغية وفرانكفونية وتونس، السعودية، وسوريا، لقد تقسيم المقسم وتجزيئ المجزأ !

لا يمكن التعامل مع شخصية فتحي رضوان بعيدا عن التفسير النفسي وأقرب طرق التحليل النفسي هو المنهج الفرويدي الذي يرى أن الفصام - والذي أرى شخصية فتحي رضوان شخصية فصامية في كثير من سلوكياتها - فلقد فشل في التكيف مع المجتمع المحيط به ،حيث صراع الأنا والعالم الخارجي، ومن مشكلات الشيزوفرينيا أن الشخص قد يكون فصاميا دون أن تظهر الأعراض عليه، لكن الضغوط النفسية والظروف المحيطة تعمل على تصدع الشخصية وانقسامها، فيرتد إلى سلوكيات الطفولة، فالهلع المبالغ فيه، الرغبة في محبة المحيطين طوال الوقت، التردد، الصراع كلها تظهر في هذه الشخصية.

ولا يمكن تجاهل أن الفصامى هو شخص حاد الذكاء في أغلب الحالات، وهذا سر شقائه، فلديه قدرة علي استيعاب أدق التفاصيل، خاصة كل ما يتعلق بسلوك الآخرين نحوه .

لا يعد فتحي رضوان الفصامي الوحيد، بل إن مجتمعنا يعج بالفصاميين، غير المعلنين الذين ينتظرون دورهم حين يواجههم ضغط ما أو حدث صادم، لتظهر عليهم بوادر المرض، وإذا كان الفصام أو الاستعداد له يحيط بكثير منا،

فإن الأمراض النفسية والعقلية الأخرى قد داهمت حوالي ٤٠٠ مليون شخصا في جميع أنحاء العالم ، أى ما يقرب من نصف مليار نسمة، فحوالي ١٠٪ من سكان العالم تقريبا مرضى نفسيون.

يتشظى فتحي رضوان إلى شخصيات خمس : الأول أوربي الملبس يرتدي القبعة، والثاني شرقي الفكر يرتدي عمامة والثالث ناسك في الصحراء حافي القدمين ويمسك عكازا والرابع يقف على أبواب الجنة ينتظر العفو ليدخل والخامس بدائي يعيش في غابات فوق شجرة مع كل الحيوانات.

لا يعرض الكاتب تشريحا نفسيا للبطل فقط، بل يستعرض وطنيته وإحباطاته وفلسفته وتساؤلاته التي لا تنتهي ،من أين تأتي النجاسة للروح، فنفرط في الوطن من أجل حفنة دولارات ،من أين تأتي ؟ تأتي من أين ،أين تأتي من ؟ هل الوطن مضاف أم مضاف إليه، لسان الحال أنطق من لسان المقال ، هل الوطن مضاف أم مضاف إليه اجمعيني، اجمعيني ، أنا خمسة اشخاص ولست شخصا واحدا .

- ما بك يا عمري
- أنا رجل مهزوم مأزوم ، أحمل في عقلي نورا فوق طاقتي، فلا أستطيع أن أمشي به وسط العميان.

تداخلت الأجناس في الرواية، والمشهد المسرحي حاضر بوضوح ، حيث الحوار،كما احتل المونولوج الداخلي مساحةا كبيرة في الرواية.

تعددت المستويات اللغوية للرواية، استخدمت بالطبع اللغة الفصحى علاوة على لهجات مصرية وخليجية وشامية ،بل واللغات الأجنبية أو بعض كلماتها التي يستخدمها كثيرون كنوع من استعراض الثقافة وادعاء الارستقراطية أو أحيانا نتيجة لثقافة وتعليم اجنبيين مثل : شو أخبار اللي ما يتسمي " COME " من معي ؟

- ما تعرف صوتي يا أزعر

استدعاء شخصيات بارزة كجمال حمدان والتشبث بوجهة نظره حول الأوطان واستدعاء أوراق عن محمد فريد وسعد زغلول ومحمد عبده.

تميز أسلوب الكاتب بالمشعرية الفائقة وطرح الأسئلة الكونية ، مازجا بين الفنون جميعا شعرا ونثرا، رواية ومسرحا ومقالا، تداخلت الأماكن والأزمنة لديه، فامتزجت بشكل يبدو تلقائيا ، لا صنعة فيه ولا تصنع، ليقول الكاتب في هذا الجزء الأخير كل ما يريد عن شخوصه وواقعهم ، ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، صراعهم،عقدهم النفسية، خواطرهم وأخيرا الإنسانية الكامنة داخل ،حتى في أحلك المواقف السيئة منها.

تجاوز الكاتب فكرة الجنس الأدبي، كما فعل في الأجزاء الستة السابقة، ككاتب محترف يبتعد عن حرفية التعريف المدرسي للجنس الأدبي، مستخدما المعرفية التراثية والدينية يتناجي مع المقدس في ثلاثينية – ٣٠ جزءا – له مفتتحات خاصة لكل جزء يرى أن النص المقدس عقبة لا يمكن تجاوزها عند ختام هذا الجزء، فيظل في دائرة لانهائية من الوصل والفصل والوصل مرة أخرى مؤكدا ان الدائرة هي أكمل الأشكال الهندسية، ليكون ختام الرواية بظهور آدم فتحي رضوان خليل خريج إنجليزي جامعة القاهرة ليفاجئ سهر سالم مديرة المدرسة بأنه ابن فتحي رضوان، فتسأله عن ابيه فيقول اختفى من عشرين سنة انهارت ،يختفي فتحي رضوان لا يعرف أحد عنه شيئا دون سابق إنذار، لكن فتحي رضوان ليس شخصا، فتحي رضوان فكرة، فلسفة تتجسد عبر تناسخ REINCARNATION كما عند الهندوس أو الولادة الجديدة عند البوذيين أو فكرة الامتداد كما عند العرب والمصريين - خاصة في الريف-

ليظهر آدم – وللاسم دلالة غير خافية كما الأسماء الأخرى بالرواية، فرضوان هو خازن جنتي الدنيا والآخرة، يملك مفاتيحها عبر شييزوفرنيا معلنة، لا يراها أحد غيره ولا يقدر على تخيلها الآخرون، فيظهر آدم ابن فتحي رضوان، لكنه أبو

البشر في امتداد جديد وخلق جديد، ربما يكون مبشرا بحياة ووطن أكثر صفوا وأكثر تقبلا لابنائه واحتضانهم وليس مكانا لاستقبال واحتواء الأجانب فقط، آدم المثقف الدارس للأدب الانجليزي القادم عبر ثقافة مغايرة، ربما تمنح الأوطان بوابات جديدة أكثر تفتحا مع مزيج تراثي ليؤجج صراعا جديدا كما يراه البعض أو فتحا من نوع جديد قد لا يرتضيه البعض لكنه قابل للانتشار والتبشير وخلق عالم مغاير عبر صراع قد لا تحسمه آليات الجيل الخامس كمايريد البعض ، وعبر انتظار لأحدث أكثر إثارة وإرهاقا، في دورة صراع جديدة من الصعب التوقع بمعطياتها وكيفية التعاطي معها، ربما يعرف الكثيرون كيف ستبدأ ، دون أن يعرف أحد كيف ستنتهي.



الحب والصراع
في رواية (لو لم أعشقها)
للكاتب / السيد حافظ

بقلم أ. معتز العجمى – مصر

مقدم برامج إذاعية بالإذاعة المصرية

كاتب وباحث في الأدب و التراث العربى

بداية ينبغي أن نشير إلى طبيعة الكتابة التي يسلكها و يمارسها السيد حافظ؛ فهي طبيعة تتسم بالجرأة والنقد الذي يصل بالقارئ إلى حد اعتباره ضربًا من التجريح و الهجوم اللاذع. لاشك أن تلك الطبيعة أضرت كثيرًا بالكاتب / السيد حافظ إذ لم تتحقق له الشعبية المرجوة ؛ مثله في ذلك مثل كثير من الأسماء التي نالت شهرة دون أن تحقق جماهيرية على المستوي الكمي، في حين أنه – على المستوى النوعي – استطاع أن يحفر لنفسه موقعا متميزا بين طبقة مختارة من القراء والمثقفين الذين توحدوا معه عبر القضية والرسالة، وعبر اللغة التي تتجاوز صفة التقليدية والرتابة ، إضافة إلى الرغبة الملحة في التمرد والتحلل المستمر من أي قيود تحد من بزوغ الذات وتفردها المغاير للمجموع؛ أولئك هم الصادقون الذين يرون في السيد حافظ الصوت الإبداعي الذي يخلو من المخاتلة والوهم.

قدم السيد حافظ مشروعا إبداعيًا يتسق مع طبيعة اللحظة التاريخية والاجتماعية التي تحياها الإنسانية الآن؛ روايات يغلب عليها التجريب و تجاوز النوعية التي لم يعد العصر الجديد يعترف بها. إن السباعية الروائية التي أنهاها الكاتب برواية (لو لم أعشقها) تجسد في مجملها جوهر الفن حيث "

السؤال و الحيرة الصادقة ، والشك البكر الذي كأنه يرى كل شيء لأول مرة "[1] ، فجاءت رواياته دون توقع على مستوى الشكل والمضمون السردي ، غاير بما قدمه صفة الرواية التقليدية أو الساذجة التي يرضاها أصحاب الذوق العادي والطموح المحدود من القراء، أراه في ذلك يتبنى مصطلح (الحساسية الجديدة)[2] الذي أطلقه من قبل الناقد/ إدوار الخراط على الرواية والقصة المصرية في مرحلة الستينيات وما تلاها حيث بدأت تتشكل أطر جمالية وفنية جديدة تختلف عما قدمه الكتاب من قبل. ولعل من أهم سمات هذه الحساسية الجديدة التي تتميز بها روايات السيد حافظ؛ التشظي حيث تتداخل الأزمنة والأمكنة والأحداث، بل يسقط الواقعكليّاً؛ لتحل محله "الأسطورة و التراث التاريخي و الحلم و الشعر المضمر أو السافر...."[3]. من هنا تكمن الصعوبة في قراءة روايات السيد حافظ، فهو – على حد قوله – لم يُقرأ بعد، وهذه العبارة " لم أُقرأ بعد " تحمل في طياتها ألم الانتظار المُر الذي يتجرع مرارته بطل سباعيته فتحي رضوان خليل وكأنهما سويّاً؛

---

(١) إدوار الخراط ، المشهد القصصي ، ص ٢٧

(٢) انظر ص ١٠، المرجع السابق .

(٣) انظر ص١٦، المرجع السابق .

الكاتب وبطله يرددان قول الكاتب الفرنسي ألكسندر دوماس " تتلخص كل الحكمة الإنسانية في كلمتين الانتظار والأمل"(١) .

إذا بدأنا رحلتنا النقدية داخل الرواية السابعة (لو لم أعشقها) فإني أرى أن الرحلة لا تنفصل عراها عن الرواية الأولى؛ إذ يجمع بين الروايات السبعة رابط يرتكز على قانونين إنسانيين هما الحب و الصراع؛ بهما تتحدد العلاقات بين شخصيات السباعية ، كما تتكشف من خلالهما رؤية الكاتب لعالمه. بدايةً إن قانون الحب هو " الذي يشكل الدافع البشري القوي لإقامة علاقات سوية متوازنة مع النفس والآخرين؛ لأنه يولد لدى الفرد طاقة إيجابية تدفعه للثقة بنفسه و بمن حوله، .... مما يشعر الفرد بالأمان والطمأنينة النفسية في واقعه الحياتي"(٢)، وربما هذا هو المدخل الصحيح لقراءة طبيعة العلاقة التي تربط بين فتحي خليل بطل السباعية و بين النساء اللائي تعرف إليهن ومارس معهن الحب سواء عبر العلاقة الزوجية الشرعية أو عبر العلاقات العابرة التي تركت بدورها أثرًا في نفسه خاصة شخصية سهر، لقد كان فتحي رضوان يسعي عبر علاقاته النسائية أن يجد ملاذا يحتويه ويضمه يستعيض به عن فقدانه للحب الأكبر وهو الوطن، إذ لا يمكن

(١) نصر محمد عباس، مفهوم الانتظار بين علم النفس و الإبداع الروائي، ص ٥٤
(٢) المرجع السابق، ص٢٢

أبدا – في رأيي – قراءة هذه العلاقات عبر محدد الجنس وحسب. إن هناك عوامل أخرى لابد أن تتم الاستعانة بها كإضاءات كاشفة لطبيعة دور المرأة في حياة فتحي رضوان.
إن الحب يبلغ في روايته الأخيرة مرتبة صوفية تتسع لتشمل كل دوائر الحب بحيث لم يعد فتحي رضوان إنسانا يرغب في إرضاء نزواته الجسدية بقدر بحثه عن الروح، وأين هي تلك الروح التي تؤرقه وتحيره منذ بداية الرحلة في الجزء الأول من السباعية ؟!
إنها الروح التي ينشدها للتغلب على عوامل قهره ، وبها يستعيد فروسيته من جديد، إذ يتماس في انكساره مع وطنه في أزمته الكبرى التي تفرضها عليه الظروف التاريخية وتواطؤ المتآمرين عليه من الداخل والخارج ، بين واقعين زمنيين(الماضي والحاضر) يسعى البطل / الكاتب للبحث عن حب إيجابي يعيد تشكيل ذاته الإبداعية ، فالحب طاقة بقدر ما يكون عاطفة و كأني بفتحي رضوان أسمعه يردد أبيات جلال الدين الرومي :

" سأقول لك كيف خُلِقَ الإنسان من طين :
ذلك أن الله – جل جلاله – نفخ في الطين أنفاس الحب!
سأقول لك لماذا تمضي السموات في حركاتها الدائرية:
ذلك أن عرش الله – سبحانه – يملؤها بانعكاسات الحب!

سأقول لك لماذا تهب رياح الصباح:
ذلك لأنها تريد دائمًا أن تعبث بالأوراق النائمة على شجيرات ورود الحب!
سأقول لك لماذا يتشح الليل بغلائله :
ذلك أنه يدعو الناس إلى الصلاة في مخدع الحب!
إنني لا أستطيع أن أفسر لك كل ألغاز الخليقة:
فما الحل الأوحد لكل الألغاز سوى الحب"[١] .

وهذا المعنى الصوفي نراه يتشكل في رواية (لو لم أعشقها) عبر اللقاء المجازي / المتخيل بين فتحي و بين الشيخ المحاسبي؛ فالحب هو المحبة [٢] . وهي الصيغة التي تتكشف لفتحي في نهاية الرواية وتدفعه لأن يصير أحد مجاذيب مولد أبي العباس المرسي ، لتكتمل بحالة الانجذاب دورة الحب ويبلغ أسمى مراتبه بصورته العرفانية أملا في تعرف فتحي رضوان إلى ذاته المفقودة والتائهة. واختار الكاتب إلا يطلعنا على رحلة بطله في العالم الجديد عالم الأسرار الذي تتسم به الصوفية؛ لعلنا نكتب بأيدينا رحلة خلاصنا بتخيل ما سيكون أو بالأحرى ما ينبغي أن يكون. أما إذا أردنا تأمل طبيعة هذا القانون؛ قانون (الحب) باعتباره كلمة تطوي تحتها

---

(١) زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفية (مشكلة الحب)، ص ٦
(٢) انظر الرواية ، ص ١٩٨

كلمات[1]. فكلمة الحب لدى سهر تعني الحرية والتحقق والرغبة الخالصة من أي قيد أو أعراف سلطوية ؛ فهي" أحيانا تشتاق إلى فتحي وأحيانا لا تشتاق إلى أحد..هي بركان من القلق"[2]، أو هي كما يصفها فتحي " أنت طيف من نور إذا مر أضيئت قلوب الرجال بالحياة"[3] ، و كلمة الحب لدى شهرزاد ما هي إلا باب الغواية وحكاية الأسمار وأحاديث النساء السرية، وعن نفسها تقول: " لكن الله أرادني هكذا؛ أن أكون أما للجميع، وعونا للجميع. كل إنسان خلق لرسالة ما أو لهدف ما .."[4] ، أما تهاني الزوجة فهي حبيبة من نوع آخر تسعى إلى لملمة روح فتحي رضوان، وكأنها إيزيس عندما يناديها فتحي بقوله " تهاني.. إذا أتيت لك ذات مساء باكيا بلا دموع لملميني، واحصدي الأحزان من روحي ودثريني واجمعي بقايا أفراحي من السنين.."[5] ، وهي في حبها لزوجها تظنه رجلًا عاديًا يسهل أن تستهلكه الحياة الزوجية بمتطلباتها و مسئولياتها، ويدرك ذلك فتحي عبر مونولوج داخلي لا يسمعه سواه " الزوج يفر من مواجهة زوجته ،

---

(١) انظر مقالة (كلمات تحت كلمات) للدكتور زكي نجيب محمود ، في كتابه (قيم من التراث) ، ص ٢٠١.
(٢) انظر الرواية، ص ٨٣.
(٣) انظر الرواية، ص ١٤٠
(٤) انظر الرواية، ص ١١٨
٥- انظر الرواية، ص ١٤٧

والزوجة تفر من مواجهة زوجها ..هي الحياة كر وفر؛ فإن المواجهة غالبا ما يكون فيها خسائر، إما أن يخسر أحد الطرفين أو الطرفان يخسران ..."[1]؛ هكذا تظل تهاني مجرد نقطة داخل دائرة الفراغ الرضواني . أما إذا أردنا أن نفهم معنى الحب في نفس فتحي رضوان خليل ، هذه النفس المضطربة المتأججة فعلينا أن نسمع لصوت ضميره حين يقول " ماذا تفعل يا ابن الحاج رضوان .. تجري خلف النساء ، وتجري خلفك النساء. ليس هكذا تدار الأشياء .. من العيب أن يكون محور حياتك في الخليج جزء كبير منه النساء .. إن للمثقف دورا آخر، هل الثقافة حقيقة في بلد مترف من الطعام و الثراء ؟، هل الثقافة حقيقة في بلد جائع ؟، هل النساء وعاء طبيعي وصحي لتفريغ شحنات الغضب واليأس والإحباط؟.... هل الجنس هو المعادل الموضوعي لتوازن الفرد؟..."[2] .إذن لا يمكن لنا أن نفهم معنى كلمة الحب لدى فتحي إلا بكشف ما تحتها من كلمات العجز والقهر و اليأس ..إن انهزامية البطل هي ما تقوده إلى كل هذه البحار من العشق ، فهو كما تقول سهر عنه " أنت مثل البحر كل ساعة بمزاج، وليس لك نهاية ولا أحد يعرف عمقك"[3]. إن الجنس في هذه الرواية ليس حبا

---

(١) انظر الرواية، ص ١٣٦
(٢) انظر الرواية، ص ١٤٥
(٣) انظر الرواية ، ص ١٣٩

خالصا أو رغبة مشتعلة بنفس فتحي يريد أن يطفئها، إن الجنس أو الحب بمعنى آخر هو رحلة البحث عن المستحيل حيث محاولة فتحي إمساك روحه من جديد، ولكنه لا يصل. فقط يصير روحًا هائمة وكأنها روح والد هاملت تبحث عن الانتقام من قاتله، ومعها تتوحد روح فتحي رضوان خليل التي ضلت الطريق وفقدت ثقتها في عالم الأحياء، وراحت تبحث لنفسها عن حياة أخرى في عالم آخر تحكمه قيم عالم السماء الصافية والنبيلة؛ فيدخل فتحي موكب المولد ويختفي مع الزحام ... هكذا تنتهي حكاية فتحي رضوان خليل لتبدأ أسطورته تكتب سطورها الأولى غير المحكية عبر من يشبهه ؛ الابن أو المثقف أو إنسان العصر الحالي .. ومن يعرف؟!

أما القانون الإنساني الثاني الذي يربط بين أجزاء السباعية؛ هو قانون الصراع الذي لا ينفصل عن الحب بل " يفرض بشكل حتمي ظهور قانون الحب في الأغلب الأعم؛ لأن قوانين الطبيعة في حقيقة الأمر هي التي تفترض بداهة في منظومة العلاقات الإنسانية أن ما يحركها في الأساس ويضبط مؤشرها قوة وضعفا إنما هو عامل الحب ....."[1] . و الصراع الذي تتعدد أبعاده في الرواية يتسع ليشمل الصراع الداخلي في نفس فتحي الممزقة بفعل الهزائم المتلاحقة له ولجماعته التي

---

(١) نصر محمد عباس ، مفهوم الانتظار بين علم النفس والإبداع الروائي ، ص ٢٣

ينتمي إليها، ويشمل كذلك تلك العلاقات الضدية التي يحياها فتحي مع الآخر أو الزمان أو المكان أو عناصر الواقع المتخيل الذي تنسجه الأحلام والرؤى الضبابية، ولعل مونولوجه الداخلي يكشف عن طبيعة ذلك الصراع إلى حد كبير "... ربما سرقني الوقت؛ فنسيت أن أكتب تاريخ الشرفاء؛ لأن اللصوص سكنوا كل المدينة. أعترف أنني هزمني الشر من الألف إلى الياء . وكان الأغبياء يشربون نخب صدور كتبهم العمياء التي تحولت بعد عام إلى مجرد أوراق لدورة المياه ..."(١). هكذا صار فتحي رضوان المثقف أشبه بدون كيشوت، فهو يمتثل لقوانين الشرف والنبل في زمن عز فيه وجود مثل هذه القيم، وعن ذلك يقول" أنا رجل بسيط محاصر بالأنذال والأحقاد وحظي ليس عظيما....أنا مخلوق من اللون الأبيض تكرهني كل الألوان"(٢) ، إضافة إلى حساسية ذات البطل التي تشبه في إيمانها بذاتها ملامح البطل الأسطوري أو الملحمي على غرار ما نجد لدى أوديسيوس البطل الإغريقي القديم أو جلجامش في رحلته للبحث عن الخلود، و إذا كان فتحي رضوان خليل يشبه الأخير في شيء؛ فهو يشبهه في التجوال والبحث الدائب الذي رغم حالة الاستقرار التي يصل إليها

---

(١) انظر الرواية ، ص ١٣٨
(٢) انظر الرواية، ص ١٣٩

جلجامش إلا أن بطلنا فتحي لا يهدأ ولا يقر له قرار وتستمر قضية الصراع باعتبارها قضية لا تنتهي، بل تخفي في طياتها مستويات عديدة من الصراع يلخصها اقتباس الكاتب لفقرة من رواية مزرعة الحيوانات للكاتب جورج أورويل ،و التي يبدأها بقوله " الآن أيها الرفاق؟ ما طبيعة الحياة التي نعيشها معشر الحيوانات؟ دعونا نواجه أمورنا بصراحة ..حياتنا جد قصيرة ..نقضيها في كد وعناء........."[1]، وطبيعي إثر ذلك أن نستشعر أن بطلنا ليس منتميا لا إلى المكان ولا إلى الزمان ولا إلى عالم الأحياء من حوله؛ لتثير قضية الصراع حالة تتعلق بالجانب النفسي للبطل وهي حالة الانتظار التي يمكن تفسيرها بكونها " حالة نفسية تتسم بالخصوصية ...." تؤدي إلى "..... حالات التوتر وصخب النفس والقلق وعدم التوازن...."[2] ، وهي الحالات التي اتسمت بها نفسية فتحي رضوان خليل عبر أجزاء الرواية السبعة، فنجده يتماس مع مآسي وتاريخ الشخصيات والعصور السابقة ليؤكد بها حالتها النفسية إزاء ما يواجهه، وعاد إلى وطنه " خاسرا كل شيء الوظيفة والمال والعشق"[3].

---

(١) انظر الرواية ، ص ٤٩
(٢) نصر محمد عباس، مفهوم الانتظار بين علم النفس والإبداع الروائي ، ص ٤٧
(٣) انظر الرواية، ص ٢٧٧

ويبقى لنا أن نؤكد على دلالة الأرقام في سياق حديثنا عن حالة الانتظار التي تولدت عن قانون الصراع؛ إذ أن دلالة الرقم (ثلاثون) عدد فصول الرواية، ودلالة الرقم سبعة عدد الأجزاء مجتمعة، ربما يرمزان إلى دورة حياة الإنسان التي لا تنفصل عن دورة الحياة التي تسيرعبر أيام الأسبوع السبعة و أيام الشهر الثلاثين . و كأنا بفتحي هنا عبر أيامه و شهوره ينتظر واقعا جديدا يمثل له أمل الخلاص، ولكن تنبئنا نهاية السباعية بأن الانتظار هو " ذلك الانتظار الحلو المر ، انتظار شيء جميل يرجو أن يحدث ولن يحدث"(١).

ويبقى سؤال أخير؛ ماذا لو لم يعشق فتحي رضوان خليل المرأة و الوطن والتاريخ والكتابة والناس ..ماذا لو كان ذاتيًا أنانيًّا، لا غيريًا يتفاعل بكليته مع قضايا أمته ووجوده الإنساني؟!

(١) نصر محمد عباس ، مفهوم الانتظار بين علم النفس و الإبداع الروائي ، ص ٥٥



المعلن والمضمر في الحب بين التقديس والتدنيس عند السيد حافظ رواية " لو لم أعشقها " أنموذجا

بقلم أ. أسمهان سعودي
الجزائر

إن الثنائية المتقابلة " الحب المقدس والحب المدنس " قائمة على مبدأين متناقضين يتحكمان في نسيج النص كله، و هما مبدأ الاتصال و الانفصال و من الملاحظ أن تيمة الحب تحتوي على صفات خاصة و متناقضة ومتضادة في نفس الوقت عما يحمله المتلقي في ذهنه ؛ فهو ليس تلك الصفات الإنسانية التي تقوي روابط الصداقة و الأخوة و حب الله و رسوله و حب الوطن فقط ؛ بل هو أيضًا في شكله المدنس المتمثل في حب المال الحرام و حب السلطة القاهرة و الحب الحرام و اللهث وراء جسد المرأة.

فليس الحب بنوعيه المتضادين سوى جسرين موصلين لمعرفة طبيعة نظام الحياة الاجتماعية. فالفضاء الروائي عالم خصب تتداخل فيه الحقائق بالخيال، ليضع بذلك عالما فسيحا يعبر عن قيم إنسانية تضرب جذورها في عمق الحقيقة الإنسانية سواء ما صرح بها السيد حافظ أو أضمرها.

قراءة في عنوان " لو لم أعشقها"

بما أن العنوان هو أول عتبة تبث شيفرة للمتلقي فإنّه يتوجب تتبع دلالاته و فك طلاسمه الرامزة ؛ ومن هنا حظيت العناوين بأهمية كبيرة في المقاربات السيميولوجية.

فالعنوان لا يوضع هكذا عبثا أو اعتباطا ؛ حيث يجهد الكاتب نفسه في اختيار عنوان يلائم مضمون كتابه لاعتبارات فنية جمالية و نفسية ؛ إذ يتعدى كونه مجرد اسم يدل على العمل الأدبي و يحدد هويته و يكرس انتماءه لجنس من الأجناس الأدبية، كما تتجلى أهمية العنوان في ما يثيره من تساؤلات مبهمة و غامضة لا تتكشف لدينا إلا مع نهاية العمل.

"لو لم اعشقها" عنوان صادم وضعه السيد حافظ ليمارس به نوعا من الإيهام و التضليل عند المتلقي ، فعندما نسقط العنوان على المتن يتبين لنا للوهلة الأولى أنه يوحي لإحدى عشيقات بطل الرواية، و لكن الحقيقة عكس ذلك فعند سبر أغوار المتن و تشعباته الوعرة نتأكد من أن العشق الذي صبّ في العنوان ؛ هو عشق السيد حافظ لمصر الذي طالما قال عنها :" عشقت مصر و هي لم تعشقني" ، فهو يجاهد بقلمه من اجلها و في اجل الوطن العربي ككل ـ لايمانه بالحب المقدس فبعد حب الله و رسوله يأتي حب الوطن كعشق مقدس يفدى بالنفس و النفيس.

حب الوطن :

حب الوطن، هو ذلك الإحساس الخفي الذي يحركنا للتعلق به، و الإحساس بالانتماء له مهما بعدت بنا المسافات، وهو شعور فطري ينمو و يكبر مع تقدمنا بالعمر و إحساسنا بأنّ لا شيء

يضاهي دفء الأرض التي خلقتنا من ترابها فمهما رأينا و أحببنا من بلاد يبقى لوطننا مكانته الخاصة لأنه حب تناقلناه من الأجداد إلى الإباء إلى الأبناء؛ فاستقر في قلوبنا ولا يزال يكبر، لأنّ حب الوطن لم يأتي من العدم فلولا الوطن لما شعرنا يوما بمعنى الاستقرار والأمان فهو الملجأ من كل ما يضرنا وهو المكان الذي لو عملنا ليلا نهارا من اجله لما استطعنا ايفاءه حقه ، وهو الكيان الذي يستحق منا العمل لا القول فقط.

فالفرد الصالح هو من يعبر عن حبه لوطنه بالدفاع عنه في كل حين ،حتى لو كان ذلك بالقلم حتى و إن جار عليه مثلما فعل السيد الحافظ في صرح روايته" لو لم اعشقها" فبها يجاهد في سبيل وطنه الصغير والكبير - بداية من شخصية الصحفي فتحي رضوان التي لم تقتصر صفاتها تلك المتمثلة في الزنا و الخيانة الزوجية بل جاءت مغايرة في الوجه الأخر لشخصيته أين يذوب عشقا في وطنه و يحمل همومه و لم يخنه، و يظهر ذلك في الرواية نحو ما يلي : " تزني بالنساء و لكنك لا تزن بأفكار الناس البسطاء ولا تنافق المسؤولين في الأوطان و غير الأوطان "(١). لكن هاته الشخصية أضمرت في البداية حبها و أظهرت خوفها من العودة إليه لأنها شخصية مهاجرة جسدا لا روحا تعيش في دبي بكل حرية و ديمقراطية عكس ما تخافه في وطنها " لا تعرفين يا تهاني

معنى وجع الروح لرجل بسيط مثلي تقولين بكل بساطة نرجع لمصر هل مصر وطن أم كفن أم سكن أم الثلاثة معا ـ هل للوطنية بطاقة شخصية هل للشرفاء أي سكن على هذه الأرض التي تسمى مصر"(٢).

يبدو الوطن من خلال هذه العبارة قاسيا و مدمرا لإنسانية مواطنه إذ يمارس ضده أبشع أنواع الاغتراب والعزلة والتهجير والتهميش " أين ستذهب يا ابن رضوان ؟ ـ إلى مصر حيث ينتظرك الغالبية من المثقفين يحملون خناجرهم ليغتالوك مثلما اغتالوا محمود دياب و نجيب سرور و يحيى الطاهر عبد الله و محمد حافظ رجب و قائمة طويلة من مبدعين و مبدعات ، قتلوا قبلك من الحسد و التهميش و التجاهل و الإشاعات "(٣). ثمة جدل قاس مزق صورة الوطن و شطرها في ذاكرة البطل " أنا ذو الوطنين مصر التي تهينني كل لحظة... مصر التي ذاكرتها مثقوبة وخيراتها منهوبة ووطن ثان كان في حلمي ليس له عنوان... ظللت في مصر وأصبحت وطنا سجنًا قهرًا تجاهلًا "(٤). فالوطن هنا يقابل فتحي بقناعه القبيح.

لذا جاز لنا القول أن ما يضمره الخطاب السردي في هذه الرواية هو حقيقة التمزقات الدامية التي يعاني منها الوطن العربي والتي لامسها السيدحافظ بروحه قبل قلمه فراح يصف

لنا التشققات والانقسامات داخل الوطن العربي حتى ولم تكن على الخارطة فيقول : " ذهبت إلى ليبيا وجدتها قسمت إلى ثلاث دول؛ فذهبت إلى الجزائر وجدتها أيضًا قسمت إلى ثلاث دول فرانكفونية ودولة امازيغية ودولة إسلامية عربية، ذهبت إلى المغرب وتونس قسمت إلى ثلاث دول أيضًا مثل الجزائر ذهبت إلى السعودية وجدتها قسمت إلى خمس دول وسوريا إلى ثلاث دول ... والسودان إلى ثلاث دول "[٥] فالتعمق في هذه التمزقات والاضطرابات وحالات الانفلات الأمني والقلق الجماعي نجده في مقدمة الأسباب كظاهرة التفاوت الاجتماعي بسبب العدالة غير الموزعة بالتساوي وذلك ناتج عن خلل في مقدرة السلطة ، وضعف النظم السياسية واحتكار السلطة وتغييب مؤسسات الدولة، وغياب الديمقراطية ومفهوم المواطنة كقيمة وممارسة.

إن قناع الكاتب الأقرب لوجهه في شخصيات الرواية هو شخصية الصحفي فتحي رضوان فالذي رغم ما عاناه من وطنه إلا أنّ حبه لمصر يزداد في كل حين وتحزن روحه إذا أصابها مكروه "يا قوم... يا قوم... الوطن قد مات وسرقوا قلبه وكليته ونشرت أصابع يده...صحت مرة... مرتين... ثلاث نزلت للشارع وجدت كل الناس تسير مقطوعة الآذان والمرور يسير ويتعاملون بصياح صامت كأنه لغة إشارة خاصة بهم،

أدركت لحظتها أنني وحيد"[٦]. فالأذان المقطوعة رمز لغياب الوعي والصياح الصامت كأنه لغة إشارة رمز لكبح حرية التعبير.

تتناسخ الرواية في حكايتها إلى أطوار متسلسلة تتجلى عبرها شخصية فتحي رضوان يرسمها السيد حافظ بإتقان "اقتربت أكثر فأكثر وجدتها جثة الوطن ممددة ورائحة نتنة تنبعث من قدميه التي بلا جورب وحذاؤه قديم مستهلك ملقى بجواره يشبه ذلك الحذاء العسكري الضخم... يا قوم يا ناس يا اهلي هذا الوطن الذي تدوسون على جثته النتنة ارجوكم ادفنوه في مقبرة تليق به فقد كنا نعيش فيه ذات يوم أكرموا مثواه"[٧]. فيفيض عليها ما يعكس هموم الوطن المضمرة في السرد الحكائي فهو مدرك تمام الإدراك لما يحدث في مجتمعه المصري وجل المجتمعات العربية مما يشكل لديه مخزونا سياسيا واجتماعيا وحتى نفسيا.

حينما يتنقل القارئ بين فصول الرواية ومقاطعها يجد في أعماقها عدة حقائق وقضايا نعايشها يوميا ، ومن بينها قضية الحب ؛ فمن عيوب مجتمعنا انه ربط مصطلح الحب بالجنس، الأول عفة والثاني شهوة ـ بيد أنّ الحب تواصل روحي قبل أن يكون جسدي.

الحب المدنس:

حب الجنس: لو تصفحنا رواية لو لم اعشقها لوجدنا أن تيمة الجنس قد احتلت مكانا بارزا ضمن هذا الفضاء السردي الذي حاول السيد حافظ من خلاله تعرية الواقع المتشظي الذي ظل لوقت كبير مسكوت عنه حبيس الطابو في غرفة المسكوت عنه، فهذه الرواية تطرقت إلى العلاقات التي تجمع الرجل بالمرأة في إطارها المسموح والممنوع ،ومن هنا نلمس عدة مطاردات للحب المستحيل مما أدى بأبطال روايتنا إلى الوقوع في الخيانات الزوجية بالجملة.

فالصحفي فتحي رضوان لم يفلح في التمتع بحبه المسموح مع زوجته تهاني وفي نفس الوقت لم يظفر بحبه الغائب رغم تمتعه به مع سهر وحياة " أنت متزوج وتعشق امرأة أخرى متزوجة وتغازل أخرى ثالثة".[٨] يستغل جسد الأنثى باعتباره الفضاء المحقق للذة الذكورة أين جعل الخيانة الزوجية فسحة لتلبية الحاجات الجنسية بنكهات مختلفة، فليزا تلك الفاكهة الاستوائية النادرة حقق معها كاظم فعل الخيانة ضد زوجته وردة "معلق كاظم بليزا ليس بقلبه فقط بل بروحه وجسده الذي تعود على ملامسة الجسد الأبيض ذي الشعر الصغير الذهبي الذي يختفي في ثنايا الجلد كأنها خلقت من عرق ذهب تحت الجليد"[٩]. وعليه فالجسد الانثوي هنا هو المحرك الأول للأحداث حيث عكس العوالم الداخلية واللاواعية التي سعى

السيد حافظ إلى تفجيرها ضمن المتخيل السردي؛ فالعفة والفضيلة تتحقق وفق شروط متعددة من أبرزها الإيمان بالله سلوكيا ، ونلمس عكس هذا عند شخصية حياة التي استدرجت فتحي رضوان وغوته ومارست معه الرذيلة ثم قالت "اسمع يا فتحي أنا سيدة فاضلة لكن أنا منذ خمسة أشهر لم أمارس ... أنا بشر واخترتك لأنك مميز وتنسى وستنسى أنك قابلتني".[١٠] وهنا نصطدم بمفهوم العملية الجنسية والمتمثلة في إشباع الغرائز والتنفيس عن مجموع المكبوتات مع العلم أن العلاقات الجسدية كبيرة من الكبائر.

إذا فالعفة والفضيلة التي تتظاهر بها حياة ما هي إلا وقت حائل وانه لابد من مواجهة هذا النفاق وبالتالي كسر القيود.

تمثل الطرح الجنسي في الرواية عن طريق وصف المشاهد التي تحيلنا للممارسات الجنسية "في غرفة النوم جلسنا على السرير عرايا... قامت سحبت ملاءة السرير وغطت جسدها العاري وتركتني عاريا في السرير ... كنت عاريا في سرير حياة بلا حياء"[١١].

برزت المرأة في هذه الرواية كسلطة جنسية وذلك من خلال وصف مفاتنها ووضعياتها المختلفة وقت الممارسة، ولعل السبب الرئيس في تفشي الزنا والرذيلة في المجتمع يعود لتمسك الرجل بسلطته الذكورية التي تعجز المرأة وتضعف

أمامها "دخلت الغرفة خلفها... ضممتها تملصت مرة ومرة ومرتين ثم استسلمت.. ما أروع لحظة الاستسلام للأنثى"(١٢). لم تقتصر شخصية راغب على صفتها الزانية تلك، حيث ظهرت في الرواية نحو ما يلي "ذنب زهرة أنها جميلة ومصيبتها أنك جريت وراءها... انأ أحببتها... أنت لا تحب... أنت قتلت قاسم زوجها ودفنته... فساعة الجريمة ساعة الزنا... أنا لم أكن قاتلا... كنت عاشقا لامرأة... لست الرجل الوحيد الذي اشتهى امرأة متزوجة... دائما نطمع في نساء لرجال آخرين أتى إلى البيت في وقت غير مناسب لم يسكت الغبي"[١٣]. ويصرح راغب عن مكنونه المتدني الذي ورثه عن أبيه عندما قال لأخته وردة "أنا رجل مريض بعشق الجنس وأبوك كذلك"(١٤). وهذا القول يقودنا دون تخمين إلى قوله تعالى: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا". فالعقلية العربية متزمتة ترى من الجنس أكبر هواجسها لما تحمله من تردي للأخلاق. فقد أنعم الله تعالى على الرجل حق التمتع بأكثر من امرأة لكن في الإطار الشرعي وهو الزواج لأن الزنا يؤدي إلى اختلاط الأنساب، وفيه أذى وضياع لحقوق البشرية.

حب السلطة والتسلط:

حب السلطة فعل ناتج عن رغبات دفينة في تعويض النقائص والتجارب الفاشلة في شتى المجالات وهذا ما يسمى في

التحليل النفسي بميكانيزم التعويض عن الفشل ، ويتعزز هذا الإحساس بتسلط الخوف على الفرد خاصة من التجارب الفاشلة المتكررة، وقد يتحول إلى رهاب اجتماعي على حسب الفرد وعاطفته؛ كما انه يتطور حسب الحيز البيئي خاصة عندما يتواجد في بيئة متعفنة فكريا ومتفككة أخلاقيا وقيميا، ومن صفات الفرد المتسلط شكه المفتوح في كل شيء وسوء ظنه بمن حوله ، ويمكن أن في شخصية راغب الذي تصعب محاورته واستحالة إقناعه بالحقيقة:" انتم لستم إلا لصوص وإقطاعيون واستوليتم على السلطة في القرية بعد أن قبلتم حذاء حافظ الأسد... وكمان بتسب الزعيم يا حيوان"(١٥). حيث يقول مصطفى حجازي في كتابه "سيكيولوجية الإنسان المقهور"، الإنسان المقهور قد يتحول إلى شخصية قاهرة متسلطة وأمر بديهي أن يفجر ويحول قهره السابق إلى سلوكات وانفعالات عنيفة.

غواية المال:

هذا الخطاب السردي ليس علامة ثقافية وفقط؛ إنما يشكل لنا قراءة تسبح ضد التيار، وتثير في أذهان المتلقي عدة تساؤلات تسلط الضوء على مناطق مسكوت عنها في واقعنا .

فمن التيمات البارزة في نص رواية" لو لم اعشقها" تيمة المجتمع المتيم بالمال إذ تغدو لغة المال وفلسفته هي الغاية والهدف الأسمى "الثعلب الأحمر الذي تعود على ان يأكل أي

نوع من الغذاء المتوافر من بقايا طعام الحيوانات والقمامة والدواجن، فشداد مثله يأكل أموال كل الناس فقراء وأغنياء ويشتهي كل النساء مطلقات، أرامل صغيرات، مراهقات أو حتى عجائز جميلات قبيحات فقيرات ثريات"[١٦]. فالمال يد تمسك بعض العلاقات التي بين بعض أبطال الرواية "في احد الممرات يسير شداد وبجواره راغب كأنهما في جولة تفقدية كأنه يغويه أو يود الاستيلاء على أموال راغب بحيلة ناعمة تمكنه من الاستمرار في دبي بحر هادر من المال والاعمال ... نقود تجيء ونقود تذهب"[١٧]. ويتقرب شداد من مهرته الشامية سهر راح يغريها ويجذبها نحوه بطرق غير مباشرة خاصة وانها راغبة في المال والثراء فهي في بلاد الثراء والأحلام دبي "اعمل عقد عمل بأعلى مرتب للمدرسات وجهزوا المدرسة الجديدة"، "بعد أسبوعين نفتتح معرض السيارات تعالي اختاري أي سيارة من أي نوع"[١٨]. فالركض وراء المال والخوف من فقده الصورة الأبهى للخراب الروحي، لم يمنحهم المال خلاصا او حتى محاولة الغوص في غمار الطمأنينة والسلام النفسي او التصالح مع الذات قبل الآخر بل دفع بهم نحو دوامة الخيانة المتكررة والطمع.

المتلقي لرواية "لو لم اعشقها" يجد الحديث عن السياسة منمق بشكل غير صريح؛ فراح السيد حافظ يرميها في حضن

تيمة المال "كانت فوائد قروض البنوك بدت تطارد شداد في دبي الرأسمالية، نظام حقير لا يرحم المديون"[١٩]. فهذه صورة مدققة لنظام الحكم السياسي في ذلك البلد، وساهم هذا في تدفق وتسلسل عدة أحداث وحقائق واقعية فأصحاب المال هم أصحاب النفوذ.

خاتمة

السيد حافظ كاتب وروائي عظيم ومبدع بامتياز لأنه استطاع بفكره المتفرد أن يبدع فنا جميلا ، يحمل في طياته أحزان وطنه وكافة الأمة العربية ، محاولا معالجتها بطريقة فنية فاستطاع بهذه الرواية أن يفك الحصار عن موضوع الحب بين المقّدس والمدنّس؛ ففرض الصوت ورفع الستار عن الانتهاكات والخيانات وتصدى لها بقلمه معلنا تحديه واختراقه للطابوهات السائدة في مجتمعنا العربي.

هوامش المقال :

١- السيد حافظ : لو لم أعشقها (العلامة السابعة والأخيرة)، العنوان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٩، ص٦٦.
٢- المرجع نفسه، ص٣٧.
٣- المرجع نفسه، ص٢٧.
٤- المرجع نفسه، ص٣٤.
٥- المرجع نفسه، ص٧٦.
٦- المرجع نفسه، ص٢٢.
٧- المرجع نفسه، ص٧٥.
٨- المرجع نفسه، ص٦٠.
٩- المرجع نفسه، ص٤٢.

١٠- المرجع نفسه، ص٦١.
١١- المرجع نفسه، ص٦٠/٦١.
١٢- المرجع نفسه، ص٦٠.
١٣- المرجع نفسه، ص٤٥.
١٤- لمرجع نفسه، ص٤٦.
١٥- المرجع نفسه، ص١٠٨.
١٦- المرجع نفسه، ص٤٢.
١٧- المرجع نفسه، ص٦٨.
١٨- المرجع نفسه، ص٦٨/٨٦.

السيرة الذاتية

الباحثة : أسمهان سعودى

تاريخ الميلاد ١٣/١٢/١٩٩٤

الليسانس : دراسات أدبية

المذكرة : الزمان و المكان في روايه قدس الله سري لمحمد الامين بن ربيع

الماستر : أدب عربي حديث و معاصر.. المذكره بعنوان :

"ثنائية المخاتلة بين النص الغائب و الصوره الذهنيه في مسرح السيد حافظ حكاية الفلاح عبد المطيع أنموذجًا"



مرجعية الأهواء وانزياحات الصورة النمطية بين الحب المقدّس والمدنّس في رواية " لو لم أعشقها " للسيد حافظ

بقلم : سناء نويوه
الجزائر

يناوش خطاب المسكوت عنه ما هو مباح ومصرح به ومشروع الافهام؛ فيختط قطيعته مع مختلف المنظومات القيمية والأخلاقية والدينية وحتى الثقافية الراسخة في المجتمع ومخياله، ليحدث انزياحا يعيد رسم الصورة النمطية الجاهزة عن عديد المفاهيم المتداولة فتظهر في صورة تحول عن مفاهيمها القائمة في الأذهان، حيث تضعنا رواية (لو لم أعشقها) أمام زخم من الأحداث المتداخلة والمتضاربة حد الاستفزاز ، أحداث شبيهة بالعقد تجعل القارئ عاجزا عن التمييز بين الواقعي والمتخيل، يمسك الكاتب جيدا بخيوط اللعبة، لكن رهانه هو أن يوّقع القارئ في فخ الحيرة والتساؤل الدائم، هذا النص الذي أراده صاحبه شركا حقيقيا ، كما يمارس السيد حافظ القطيعة الصورية مع الخطاب المقدّس المتعلّق بنوع العلاقة مع الله ومع البشر في مخيال فتحي رضوان حيث كان الله والحب الصوفي لله تعبيرا ميتافيزيقيا عن الحب، وما النساء إلا تجسيد مادي لمفهوم الحب عنده وعند باقي الرجال في الرواية. لهذا ففتحي عاش تناقضا مع نفسه وفي الوقت ذاته لم يجد تناقضا في أن يكون المرء مؤمنا ومغرما بالجنس في آن واحد .

يقوم هذا الخطاب في هذا الجزء على دمج المدنّس الدنيوي الماثل في ممارسة الجنس، مع المقدّس المتعالي الماثل في الحب الحقيقي والحب الإلهي، فالله عبارة عن فكرة ميتافيزيقية عن الحب، أما حب الجسد في هذه الرواية فتمثّل على المستوى المادي في جسد المرأة باعتباره دالا بما يملك من مزايا حسية على ذلك النموذج المتعالي للحب، ولعلّ الحب في صورته تلك المجردة المقدّسة أم المادية المدنّسة هو الموضوع الجوهري المقصود من هذا التوصيف الرابط بين الله كخالق متعالٍ والانسان كمخلوق أرضي، انطلاقا من اشتراكهما في صورة الحب الانشطارية التي تجمع في شقيها النقيضين في الخطاب الشرعي والعرفي ليتكاملا ويتشاكلا في الخطاب التخييلي الروائي حيث حدود المقدّس والمدنّس اللذان يتجاذبان حياة الانسان ويصنعان سعادته وشقائه في دنياه و آخرته.

الجسد بين المقدس والمدنس

عمدت الكثير من النصوص الروائية العربية إلى استثمار موضوع الجسد وفق رؤى متباينة، وبتوظيف فني جمالي يختلف من مبدع الى أخر،وقد شغلت رواية " لولم اعشقها" بقضية الجسد،لأن وضع الجسد في الخطاب الثقافي العربي العام والخطاب الروائي خاصة له مدلولات مهمة تتعلق

بالمحرم والمقدس والديني والانثروبولوجي، واعادة طرح أسئلة الذات والهوية والكينونة والعلاقة مع الأخر.

يتقاسم نص رواية "لولم أعشقها" جسدان،الأول شبقي، رغبوي دنيوي، باحث عن اللّذة والمتعة من خلال الجسد الأنثوي، والثاني الجسد المبجل أو المقدس الذي تتجلى توصيفاته بين الزوجة الحبيبة.

يتمظهر النمط الأول في شخصيات(فتحي رضوان، كاظم راغب شداد) حيث حملهم السيد حافظ بالقيم الثقافية الذكورية ذات الطابع الفحولي القائم على البحث عناللّذة بصورتها الجسدية -الحبيبة ـ ضمن نسق ثقافي محدود الرؤية لايؤمن بالبعد التواصلي الانساني الا بالوصول الى جسد الأنثى مثل شخصية راغب شداد، وشخصية فتحي رضوان.

ففتحي رضوان نصف شخصية لم يرد لها السيد حافظ أن تخرج مكتملة، لذلك جعل لها امتدادا آخر عبر شخصيات أهمها (سهر – حياة – تهاني) وهذا اللا اكتمال في رسم حدود الشخصية ينبثق من التصرفات اللامقنعة التي تؤطر أفعالها.

ففتحي رضوان بتجربته الحياتية الجنسية الواسعة والممتدة على الجسد الانساني غير مقتنع في تصرفاته ووجوديته العدمية الخاصة به والباحثة عن الجنس والمتع والفضاءات الجديدة.

إن فعل الانغماس الجسدي في المتع الذي تمارسه الشخصيات (كاظم – منقد –راغب – فتحي – شداد)، هو الموجه الأساسي للبنيات الحكائية في النص الروائي، فهو المحرك للأحداث والعامل الرئيس في تنشيطها، وهو من رسم الأمكنة وحدّد ملامحها وفق رغبة شبقية بينها وبين الجسد الانساني.

فالعلاقات التي تنشأ ضمن هذا المحور بين الذكر والأنثى أساسها الرغبة في امتلاك الجسد، الشهوة، وتتحكم فيها ثنائيات ضدية أهمها (الذكورة-الأنوثة) (الاكتمال-النقص) (الحضور-الغياب) (مانح-مستخدم)...الخ.

وتتولد هذه الرغبة من معطى حضاري مترسخ في الذاكرة البشرية يعمل في أغلب الأحيان بوصفه نسقا ثقافيا ثابتا، فهو يرسم صورة المرأة في ذهنية الرجل الفرد على أنها جسد شهواني حامل للذة والعلاقة بينهما تسويقية قائمة على الاشباع فالثقافة الذكورية أحادية الرؤية لا ترى في المرأة الا الجسد وهذا ما يتضح لنا في قول راغب: "لست الرجل الوحيد الذي اشتهى امرأة متزوجة...دائما نطمع في نساء لرجال آخرين"(١)، وأكمل حديثه قائلا: "أنا رجل مريض بعشق الجنس وأبوك كذلك"(٢).

---

(١) الرواية، ص ٤٥.
(٢) الرواية، ص ٤٦.

ان التركيز في المقطع السابق لا يكون على الجسد الأنثوي فحسب بل هناك تأكيد على المشاركة في الفعل الجنسي ومحاولة اكتشاف جسد الآخر من الطرفين كحياة.

و بهذا فالفعل الجنسي يتحول إلى معركة إثبات وجود وتحقيق كينونة وطريق لسحق الآخر وتدميره وإقصائه، وهنا ينتفي البعد الإنساني وتصبح عملية بيولوجية الغرض منها اشباع الغريزة والتنفيس عن عقد ومكنونات وانعكاس للواقع المتردي المرير، مثل قول فتحي:

"أمشي مكشوف الرأس وأبتسم بلا سبب وأضحك بلا سبب وأعرف النساء وأعاشرهن ربما لسبب هام هو أنني أقاوم الاكتئاب العميق الذي لا يراه الناس في وجهي ... عندي اكتئاب شديد عميق من الوطن ... فالوطن دائما يحك رقبته وظهره بالشهداء وينساهم ... أنا لا أريد من هذا الوطن إلا رغيفا طازجا ساخنا وقطعة جبن وخمس بيضات مسلوقة"(١).

فضلا عن التمثيلات الجسدية ذات الغائية الرغبوية المرتبطة بمبدأتحقيق اللّذة، فإن هناك خيطا رفيعا يربط بين عهد الجسد وعهد السلطة الفاسدة، ويرى بأنهما متشابهان لكن الفرق بينهما في الغايات لا في الوسائل، فغاية الأول تنحصر إمّا في

---

(١) الرواية، ص ٢٣.

المكسب المادي أو تحقيق المتعة الجسدية أما الثاني (السياسي) فهدفه التدمير، التسلط والقمع.

فنص الرواية يتجاذبه جسدان، الأول دال على الرغبة والمتعة واللذة، والثاني جسد مقدّس يؤشر على قيم النبل والجمال والجلال.

إنّ المقدّس بمختلف تجلياته يكتسب مشروعيته عندما يضع الناس حدودا له، لا يمكن تجاوزها إلّا بخرق المحرمات وانتهاكها، لهذا يبقى المقدّس خالدا.

نص رواية (لو لم أعشقها) هو نص يحتفل بالجسد على مستويين، رغبوي ومبجّل، فيستعرض الحياة الواسعة بكل تمفصلاتها بعيدا عن الرؤية الأحادية للجسد التي يمكن أن تجعل منه أنموذجا ثابتا لا يقبل التحول والتغيير.

يقدّم الجسد المبجل في النص الروائي ضمن خطين متوازيين:

الأول: جسد الأم

حيث يحتفي نص الرواية بالأم ويقدمها معادلا موضوعيا لأشياء عدّة من أهمها الوطن على مستوى الثيمات ، والفضاء الزمكاني على مستوى البناء الفني ، فجسد الأم جسد مبجل وحاضن للرجل يقوم عليه ويمنحه الحياة والحنان.

أمّا شهرزاد فتمثّل دالة مكانية زمانية تتسع دلالاتها لتشمل الوطن (الشام) – سوريا – بأكمله، وتتماهى مع الأمكنة

(الجبل ــ المدينة دبي) وتبادل الأدوار الدلالية معها... المرأة / الأم، إنّ شهرزاد أنموذج نسائي مغاير ومخالف للغة الجسد التي تطفح بها الرواية ، وعبر جسد الأم يختزل الوطن في المرأة والمرأة في الوطن، فشهرزاد تمثّل الوطن / الشام بامتداده واتساعه، فهي لم تنجب لكن كانت بمثابة الأم لسهر ووردة.

ثمّ نجد جسد الزوجة أو الحبيبة و هو النمط الثاني للجسد المبجل في نص السيد حافظ،

إنّ الثنائية التي تشتغل على امتداد النص هي ثنائية الطهر والعهر، فمع الجسد الرغبوي الشهوي تتضح الصورة الأولى ومع الجسد المعشوق- المحبوب تتجلى الصورة الثانية ويتضح هذا في علاقة شهرزاد وزوجها وكذلك نجده عند فتحي وزوجته لهذا فإنّ المودة والألفة هما ما يميزان العلاقة البعيدة عن اللذة والرغبة في امتلاك الجسد للجسد الإنساني حرمة وقدسية، وهو مكان يمارس فيه وبه الفرد سلطته ويكون حميما وأليفا مثل بيت الزوجية، وانتهاك قدسية الجسد يمارس تحت ضغوط سياسية، اجتماعية، ثقافية مثل استغلال شداد لسهر.

تعمل ثنائية الطهر والعهر بطريقة معكوسة ومفارقة تحمل في ثناياها دلالات السخرية السوداء من الأوضاع الاجتماعية،

والإنسان المقموع المتصل بسلطة السياسة والترهيب والقمع والانتهاك ، و أهم مميزات العلاقة بين الفرد الهش والسلطة القوية، كما تعرض لنا رواية (لو لم أعشقها) صور المجتمعات الشرقية والعلاقات المرضية (السادية ـ الماسوشية) التي تتحكم في الأفراد والسلطات.

صورة الأنثى بين التقديس والدونية:

صورة العشيقة:

إنّ الغريزة الجنسية تتولد عنها الكثير من العلاقات، والنشاطات الإنسانية فهي ترسم ثقافة الانسان، يقول فيليب كامبي: « كل ثقافة الانسان في جميع تنوعاتها إنّما تتصل قليلا أو أكثر بغريزته الجنسية والعلاقات المتولدة عن هذه الغريزة بين الرجل والمرأة»(١)، ومنه إنّ أساس التجمع البشري، هو الاتصال بين الرجل والمرأة وهذا الاتصال يبدأ بميل أحد الطرفين نحو الآخر، كما أنّ الرواية الجديدة لم تعد تحدد الزواج كهدف وثمرة للحب، بل صار الحب يكفي وحده، بل لم يعد الحب أيضا هدفا، ونحدد هاته المرأة في شخصية ليزا والعلاقة التي تجمعها بكاظم مثل: «خرجنا من المدرسة في الظهيرة وركب كل واحد سيارته واتجهت إلى بيتها ... لا

---

(١) فيليب كامبي، العشق ــ الجنس ــ المقدس، تر: عبد الهادي عباس، دمشق، مطبعة ألف باء ١٩٩٢ ، ص٦.

مفر من العشق الحرام الذي يحاصرك هل لأنّ هذا العشق مجنون أنت تعشقه.... نعم إنّ عطر جنون العشق يوجع الروح قبل القلب ويخجل الحرف عن التعبير...»(١)، وأيضا «حاولت أن أنساك لم أستطع كاظم لا بد أن نعيش سويا في أي مكان بعيدا عن أهلك وأقاربك والعمل... ونترك هذا الشرق المعقد من الجنس والمضطرب العقل في فهم الإيمان»(٢)، فطبعًا كاظم رجل متزوج وليزا امرأة متحررة فعلاقتهما مرفوضة مثل: "ما علاقتهم بحبنا"(٣) رد كاظم "أنا رجل متزوج".(٤)

صورة المرأة الخائنة:

تجسّدت الخائنة في رواية (لو لم أعشقها) في شخصية سهر كونها تخون زوجها منقذ مع فتحي رضوان، كالحوار الذي دار بين شهرزاد وسهر:

«- المرأة لا يحميها ألف رجل من الخطيئة لو أرادت فعلتها...

- أنا أفعل الخطيئة؟

- لا... أنا.

- خالتي أرجوك لا تجلديني بسبب مشاعري... أرجوك».(٥)

---

(١) الرواية، ص١٠١.
(٢) الرواية، ن ص.
(٣) الرواية، ن ص.
(٤) الرواية، ن ص.
(٥)الرواية، ص ٩٢.

وحين اكتشاف منقذ خيانة سهر له مع صديقه فتحي: «ماذا تفعل يا فتحي عندما تخونك زوجتك تهاني مع شخص آخر؟ ماذا تفعل؟ رد يا فتحي.. لا تسكت»[1] و «كيف سأبدأ الحديث مع فتحي الكلب الخائن؟.. هل أدخل في الموضوع مباشرة؟ هل أشير له؟ هل أقول له أعرف أنّك على علاقة مع زوجتي؟»[2]. هكذا كان منقذ يستعد للنقاش مع فتحي.

صورة المرأة الزانية:

تجسّدت المرأة الزانية في كل من شخصية حياة، تهاني، ليزا وマرينا، مثل: خطيئة حياة مع فتحي: «قمت للجلوس بجوارها قالت وهي تتدلل بصوتها غنج خفي حاولت أن أقبّلها دفعتني مستنكرة وجرت إلى غرفة النوم... دخلت الغرفة خلفها... ضممتها تملّصت مرة ومرة ومرتين ثم استسلمت.. ما أروع لحظة الاستسلام للأنثى بدلال...»[3]، خطيئة ليزا وكاظم مثل « حملتها من فوق الكرسي وأنزلتها ضمّتني بعنف إلى صدرها ضممتها»[4]، إلى غاية حضور الخطيئة، وخطيئة فتحي مع سهر في سيارة مثل: « دخلت على الكرسي الخلفي

---

(١)الرواية، ص ٢١.
(٢)الرواية، ص ١٩.
(٣)الرواية، ص ٦٠.
(٤) الرواية، ص ١٠٠

أغلقت الباب... وجدتها تخلع الفستان الأسود».[١]

صورة المرأة الزوجة:

الزواج ظاهرة اجتماعية هامة لتكوين الأسرة والربط بين الذكر والأنثى ربطا ينتج عنه التواد والتآلف والسكن وبقاء النوع بصورة منظمة، وقد خصصت له المجتمعات قوانين مدنية، وأكّدت عليه الشرائع السماوية.

رغم أنّ المرأة والرجل يكونان معا أسرة واحدة إلّا أنّ العلاقات السائدة التي يرسمها السيد حافظ تجعل من الرجل سيد البيت الآمر الناهي فيها، والمرأة تمثّل التابع مثل علاقة كاظم ووردة التي لم تستطع ترك زوجها يغادر المنزل بالرغم من انّه لم يحبها مثل« انهارت وردة تحت قدمه تشبثت بها:

- حقك علي... أبوس حذاءك لا تذهب، حقك عليّ

- لا لن أجلس لحظة واحدة بعد الآن سأترك البيت».[٢]

ومنه نجد أنّ السيد حافظ يسير بالزاوية نحو غوص أكثر عمقا، ويركّز دوما على الصراع القائم في المجتمع، فتبدو المرأة رمزا أكثر منه كائنا تابعا للرجل وظلاله.

كما أنّ من أول واجبات المرأة أن تكون امتدادا لزوجها فتنفي عن نفسها إنسانيتها وتفقد أمامه شخصيتها« وكي تكيف

---

(١)الرواية، ص ١٤٨.
(٢)الرواية، ص ١١١.

نفسها حسب ما تقتضيه رغبة الزوج كأن لا قيمة لها سوى رضا الزوج عنها، وتقضي نهارها في إعداد الطعام له، وتهيئة نفسها له لاستقباله». [١]

والحديث عن صورة الزوجة في رواية (لو لم أعشقها) تمثّلت في شخصية تهاني مثل: « حين وصلت البيت كانت تهاني قد جهّزت على السفرة الملوخية والدجاج المشوي والسلطة... وصح النوم يا أستاذ فتحي جهّزت لك الغداء ملوخية وفراخ مشوية». [٢]

صورة المرأة الأم:

الأم هي محور الأسرة وسر استمرارها، ولذلك لعبت دورا بارزا في المجتمعات منذ القدم، فكانت رمزا للمحبة والحنان والتضحية، ورمزا للأرض والكاهنة والعرافة في المجتمعات القديمة، فللعلاقة المشيمية بين الأرض والأم حيزا واسعا في الروايات، ولم يكتفِ السيد حافظ بتقديم الصورة النمطية للأم وهي الصورة المشرقية التي تمثّل التضحية والصبر والعطاء، بل قدّم أيضا الصورة السلبية للمرأة الأم، مثل سهر زوجة منقذ وهي نموذج للمرأة البرجوازية الساذجة.

---

(١)إيمان القاضي، السمات النفسية للرواية النسوية في بلاد الشام، ١٩٥٠، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور حسام الخطيب، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة رمق، ١٩٨٩، ص ٣٤.

(٢)الرواية، ص١٣٦.

رواية لو لم أعشقها تحتفى بمقدساتها:

لا يمكن بأي حال من الأحوال التعاطي النقدي مع النصوص الأدبية التي تنفي استفادة أغلبها مما يرشح به الخزين الأسطوري و الديني من أنماط حكي وفنون تخييل، وهي استفادة يبررها نزوع الأدب والدين كليهما، باعتبارهما فعاليتين تتبادلان التأثر بواقع الإنسان والتأثير فيه، إلى نشر الثابت من القيم الإنسانية كالخير والعدل والحرية، واشتراكهما معا في توظيف الأسطورة لتحقيق ذلك النزوع، وبناء عليه، وجبت إضاءة دور الأدب في عضد منجزات الفكر من جهة كونه يمثل فضاء يستطيع أن يستوعب المقدس في أخلاقيته، وسبيلا إلى البحث فيه بحثا حرا وذاتيا.

ففي رواية " لو لم أعشقها" نتعرف إلى مظاهر حضور قداسة الحاكم وذلك من جهة كونها فضاء سرديا يكشف فيه الروائي عن نمط من أنماط علاقة حاكم عربي بمحكوميه، كما أنّها رواية تقوم بتعرية المسكوت عنه سياسيا في واقعنا العربي والسخرية منه.

ومنه إنّ اتصال نص لو لم أعشقها بالنص المقدّس ساهم في إغنائه، سواء على مستوى الدلالة أو على مستوى البناء الفني، إذ وجد الأدبي في الديني كونه الأسطوري على حدٍّ فاتّسع حجم التخييل فيها، وتكثّفت رموزه، وشاعت البلاغة

داخل نسيجه اللغوي، وهو ما جعلها ترقى مراقي البيان والسحر.

تنويعات خيالية لزمنية الفنية المقدّسة وتعدد أمكنتها:

يعد الزمن القاعدة التي تبني بها البنية السردية، وهو البعد الأساسي لها، إنّ وجود تمظهرات الخطاب الديني في البنية السردية مرهون بالزمن الفني، داخل هذه البنية التي تنهض أساسا على زمن ما، فهو الذي يشكّل تجربة الخطاب الديني إبداعيا، لأنّ ((الزمن هو الذي يوجد السرد))[١]، وتجربة الخطاب الديني داخل هذه البنية المختلفة.

وبناء على هذا المصوغ النقدي، تتوزع زمنية " لو لم أعشقها" عبر حقب تاريخية متباعدة (سنة ٥٩٥ه، العصر العباسي، الفاطميون، الزمن المعاصر) وهذه الأزمنة أقرتها مؤشرات نصية، انفلت زمنها من الطابع الثلاثي المتعاقب لأشكال الزمان إلى وعي جمالي يحدده البناء الفني للرواية، ما يجعل النص مفتوحا على تعدّد أزمنته واختلافها وتباعدها، (زمن مستعاد وهو زمن تاريخي، وزمن الحلم أو الرؤية، والزمن الصوفي، وزمن الحاضر) وكلها تشكّل في تضافرها حركية الزمن في أغوار النص متحررا بذلك من تعاقبية

---

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،

الزمن، وسكونية المكان، فالزمن الروائي لا يخضع لأي سلطة إلّا سلطة جماليات النص وتفاعلاته مع القارئ، وبين القارئ ما يملك من خبرة جمالية يأتينا الزمن في هذه الرواية بطرق مختلفة ومتعددة وهم (الزمن المستعاد، وزمن التيه والضياع، والزمن الصوفي).

١ - الزمن المستعاد:

هو زمن الحلم أو الرؤية مثل الكابوس الذي شاهده فتحي حول تقسيم الوطن وكيف رآه عبارة عن جثة كبيرة يمشي عليها الناس مثل:

- فتحي استيقظ
- خير؟
- كنت تحلم وتصيح
- بماذا؟
- كنت تقول قسمتم الوطن يا أولاد الكلب
- كابوس؟
- نعم كابوس
- أرى كابوس المستقبل على هذه الأرض وهم يسيرون أمواتا أو نياما أو عميانا.[١]

---

(١) الرواية، ص ٧٨، ٧٩.

ونجد أيضا حلم سهر لرابعة العدوية حيث استخدم السيد حافظ شخصية تاريخية دينية، وجعل الاتصال بين زمنين منقطعين، الزمن الواقعي المعاصر وبكل واقعيته المعتّمة ويمثله السارد والزمن المنصرم الذي تمثّله الشخصية التي صنعها الدين الإسلامي مثل: " حين أطفأت سهر نور الحجرة وجدت أمامها امرأة يشع من وجهها النور ... سألتها من أنت؟

قالت:

-رابعة العدوية... ويقولون عني أيضا أم الخير رابعة بنت إسماعيل القيسية العدوية البصرية، فأنا مثال رائع للحياة الروحية في الإسلام، ولدت في البصرة حوالي سنة ٩٥ ه ٨١٤ م في أسرة فقيرة".[١]

٢ – زمن التيه والضياع:

وهو الزمن الراهن الذي يحياه أبطال الرواية من خلال البحث عن الذات وهو زمن صاغه تكرار سؤال أين نحن، وزمن التيه هذا يبعث بمؤشرات زمنية معاصرة احكي عن الواقع الراهن، تدفع بحركية النص نحو الانفتاح على أزمنة متعددة ومختلفة.

٣ – الزمن الصوفي:

---

(١) الرواية، ص ٢٦٦.

يتوجه النص (رواية لو لم أعشقها) إلى الزمن الصوفي لينتقي منه رصيدا معرفيا، فتنشأ العلاقات بين ما هو سردي متخيل، وما هو صوفي ميتافيزيقي، إنّ علاقة ابن عربي والشيوخ الصوفية مع فتحي رضوان تتجلى في دور المهيب، فالعلاقة بينهم وبينه علاقة تنوير وهداية؛ ففتحي وسهر شخصيات مستغيثة.

يمثّل النص الروائي (لو لم أعشقها) البحث عن الذات والحقيقة والنور، حيث تمثّل هذه الرحلة، وما تخللها من تيه وضياع بحثا عن حقيقة هذا الواقع المأساوي و أسباب هذا التأزم، و خلفياته التاريخية، و عن أزمنة الصراعات التي لا تنتهي.

السيرةالذاتية

الباحثة : سناءنويوه

تاريخ الميلاد ١٨/٠٤/١٩٩٨

تخصص الدراسة في شهادة ليسانس دراسات أدبية

بعنوان مذكرة ليسانس البنية الزمانية والمكانية في رواية قدس الله سري.

تخصص الدراسات في شهادة الماستر أدب عربي حديث ومعاصر عنوان المذكرة :

"ثنائية المخاتلة بين النص الغائب و الصوره الذهنيه في مسرح السيد حافظ حكاية الفلاح عبد المطيع أنموذجًا"



الحب بين المفهوم الاصطلاحى و الممارسة الإنسانية
قراءة في رواية "لو لم أعشقها"
للكاتب السيد حافظ

الأستاذة : سعاد جلال – الجزائر

تعد رواية لو لم أعشقها الجزء الأخير من سباعية السيد حافظ، وقد كتبت هذه الرواية في شكل خاص إذ قسمت إلى علامات وليس فصولاً وتلك العلامات جاءت كمؤشرات لحل لغز الرواية.

جاءت فقرات بعنوان"روح" تناول فيها الكاتب كل معاني الحب التي تصل لتفسير المشاعر الإنسانية ، وبعدها مباشرة وضع اقتباسات من روايات عديدة مما يشدّ انتباه القارئ ويزيد جاذبية لهذا الأسلوب الجديد.

فالكاتب يجعل من الحب المحور الرئيس في الرواية بجميع تمظهراته من مقدّس و مدنّس، وكل شخصية حملت معها جانبين من الحب المناقض (فتحي. كاظم. سهر. حياة. تهاني. شهرزاد. شداد. حامد وغيرهم...)

وهذه هي الطبيعة الإنسانية التي ترتاح مع المشروع وتجرّب المحرم .

فالرواية تتحدث عن حياة العديد من الشباب من جنسيات مختلفة في غير أوطانهم لكل من هؤلاء الشباب حياته العاطفية الخاصة.

تنطلق أحداث الرواية مع الاتصال الهاتفي من "حياة " "لسهر" ليكون بذلك أول لقاء بين عشيقتي *فتحي* الذي مثل الرجل الشرقي الصريح المتحرر ، العاشق لجميع النساء،

الغارق في الخطيئة (بعض النساء هلاك وكل النساء نجوم في السماء بعضهن تضيء وبعضهن باردات ومظلمات ومعتمات عنيدات) .

فتحي هو النفس العاشقة للوفاء،، للجمال، للحرية وفي نفس الوقت خائنة وكاذبة ، لم تكن تقتصر علاقة فتحي *بسهر* المرأة المتزوجة أو حياة زميلة العمل بل كان متزوجًا أيضًا بتهاني التي مثلت رمز الوفاء أو الحب الحقيقي .

تسير أحداث الرواية إلى بيت كاظم الذي لا يختلف حاله عن حال فتحي وهو الذي عشق * ليزا* وامتلكت قلبه وظلت روحه معلقة بها بعد أن هدده شداد للامتناع عن مقابلتها، فيبقى مع عائلته جسدا بلا روح إلى أن يعود راغب شقيق وردة فجأة. وهو الذي يمقته ليجد بمضايقته حجة للهروب مع ليزا بعيدًا. كان راغب رجلًا مريضًا بالجنس لا يعرف للحب مسلكًا ولا للأخلاق.

وكذلك هو الحال مع شداد شريكه في العمل و الذي لم يكن هدفه العمل مع راغب ؛ وإنما نهبه كما يفعل كل مرة ـ وداخل هذه الدائرة كانت سهر ـ الفتاة الشامية ـ حلم كل هؤلاء الرجال، فجمالها الأخاذ يستهوي عقول الرجال وقلوبهم .

يستمر فتحي في الخطيئة مع حياة بعد مغادرة سهر للحاق بشهرزاد إلى أن يكتشف أمره و يطرد من العمل ويعود إلى مصر مفلسا وينتهي به الأمر مختفيا إلى المجهول.
سهر وبعدما نال منها شداد ما يريد تحتلها حالة الندم و بعد لحاقها بشهرزاد إلى موطنها ، تصدم عند رجوعها بخيانة زوجها لها مع الخادمة الفلبينية فتعلن توبتها؛ لكن في النهاية غواية المال تنتصر وتعود إلى حالتها الأولى , وبعد مرور السنين يسوق القدر ابن فتحي ليعمل لديها .
يبرع الراوي في إثارة فضول القارئ لإكمالها فقد قدمها له كأجزاء كل جزء يدفع به لقراءة الجزء الآخر وبإتحاد أجزائها تتشكل الصورة الكلية كلوحة فنية . و فيها تطرق الكاتب للعديد من متناقضات الحب ,منها حب الوطن وحب الشهوة ,وهذا ما تجسد في شخصية فتحي رضوان الذي عشق بلده رغم تخليه عنه وخذلانه إلا أن مشاعر الانتماء و الحنين له ظلت و بقيت كنبض سار يأبى التوقف ، ومن جهة أخرى فهو يرى في النساء الحب والملجأ الذي يعوضه عن اغتراب وطنه .بالإضافة إلى حب الخطيئة والخيانة التي يراها تسود جميع النفوس مع عدم وجود مبرر لها حتى في نفسه (أنا أحبك يا تهاني ولكن قلبي يفيض حبا يكفي نساء كثرا ولكني حتى الآن لم أفهم سر الخيانة في العشق). وهنا يضع الكاتب مفارقة بين

الحب الأزلي الطاهر الذي يتجذر في ذات الإنسان ، والحب الشهواني الذي تقوده الغريزة وتفضى نهايته إلى الفساد .
ففي شخصية *فتحي* اتضح صوت الضمير الحي الذي يدعو إلى الاستقامة والترفع بالذات عن المعصية من خلال الشخصيات التي كانت تتهيأ له وتكلمه . وهنا تجلي لحب الذات بين العصيان والطاعة .
أيضًا تمظهر الحب في شخصية شهرزاد كحب صادق إنساني وتمثل في الإحساس بالجميع ومساعدتهم دون مقابل ,فهي التي وهبت نفسها لبلدها وفقرائه وأطفاله على حساب نفسها وزوجها .وبذلك فهي رمز الإنسانية .
(أنا عشت بالناس وخدمة الناس صغيرهم قبل كبيرهم وضعيفهم قبل قويهم أنا عشت بالناس ...)
تجلى الحب بين الذات والحياة في شخصية *سهر *التي استغلت جمالها للوصول إلى الحياة المثالية التي تريدها .وفي نفس الوقت فقد كانت أكثر امرأة يريدها معظم الرجال فقد مثلت رمز الجمال (سيدة لطيفة جميلة لها حضورها الطاغي لها عطر فواح خاص).
فلم تعرف الحب حقيقة وإنما جعلته مقابلا لحياة الرفاهية التي هاجرت وتزوجت من أجلها (أنا هربت من سجن القرية من

أجل أن أتي إلى هنا كي أعيش الحرية والجمال المطلق) .بذلك أرضت رغباتها لكنها دمرت كيانها .

لا تختلف شخصية شداد عن سهر كثيرا فقد مثلت النفس المحتالة الشريرة التي طغى عليها الجشع وحب المال .وقد تجلى الحب لديها في التملك و تريد الوصول لأي شيء ترغب به مهما كان الثمن .كما فعل مع سهر(أريد أن أدللها أن أثمنها أن أعرفها أنها جوهرة وأنا الجواهرجي) وكما خطط لنهب راغب (يود الاستيلاء على أموال راغب بحيلة ناعمة تمكنه من الاستمرار في دبي).

أما عن شخصية تهاني فقد تجلى معها معنى الحب الحقيقي وهو حب دون مقابل حب للروح فقط .

لذا قررت الاستمرار مع فتحي بالرغم من علمها بخيانته لها ، وهنا كانت رمزا للمرأة الشرقية الصابرة والوفية من أجل عائلتها .(تهاني أيقونة مصرية بسيطة وجميلة جمالا هادئا ليس صاخبا ولا يلفت الأنظار ... وكل ما تعرفه عن عالم الرجال هو عالم فتحي ... كل أحلامها أن تسعده أن يهتم بها أكثر)

تمظهر الحب لدى منقذ لا يختلف كثيرا عن تهاني , فقد كان حبا مقدسا من زوج لزوجته بالرغم من علمه بخيانة زوجته له مع صديقه ,كيف لا وهو الذي نال أجمل زوجة . (لم أتخذ

قرار الطلاق لأنني أحبها ....كيف أطلقها و أهل القرية والجبل الذين يحسدونني على زواجي من تلك المرأة الجميلة)

ارتبط الحب عند جل شخصيات الرواية بالممارسة الجنسية مما دل على الفساد أكثر منه على الحب ,فالجنس حاجة الجسد والذي يكون دافعه بالدرجة الأولى الجمال الذي يثير الشهوة الجنسية عند الرجل والحب حاجة الروح والذي يكون نابعا من القلب.فالرواية قسمت الأدوار بين الرجل المهتم بالجمال والجسد والجنس في حين أعطت للمرأة دور الحب الجمال والغواية .

تناولت أيضًا علاقة الجنس وتأثيرها في الحالة النفسية للرجل والمرأة على حد سواء .من كل هذا كانت الممارسة الجنسية غير الشرعية التي قادتها الشهوة تارة والحب تارة أخرى سببا في الاضطراب النفسي للعديد من الشخصيات .

طرحت فكرة الشرف بمفهوم ضيق في الرواية كما اتضح لدى شخصية "سهر " فلم تتذكر الشرف إلا بعد الاعتداء عليها من طرف "شداد "

بالمقابل لم تحسب للشرف حسابا عندما مارست الجنس مع" فتحي " ووضعت مبررا لنفسها تحت مسمى الحب .(ركبت السيارة وهي تجهش بالبكاء وتصرخ بعد أن أغلقت زجاج السيارة ... يا ويلي يا ويلي أصبحتي .... يا بنت سالم ..)

فالحب هو البعد عن الخطيئة والحب هو التقديس والحياة والتعلق بالخالق للارتقاء بالروح إلى الجنة

إذن فالعشق يتحول من إحساس وسلوك إنساني إلى تصور عام يعكس ما تخفيه النفس البشرية من متناقضات وراءه (الحب /القسوة)(الشر /الخير)(الحياة /الموت)

سافرت بنا الرواية عبر العديد من المحطات من أماكن مختلفة مع شخوص مثلوا الذات الإنسانية لتلخص العديد من المعاني الحسية للعشق أو الحب كشعور إنساني وكخطيئة وكإحساس مؤقت . و لم يكن لها بطلين بالمعنى الواضح فقد جعل الكاتب معظم الشخصيات تسير في فلك واحد إلا أن المتتبع لأحداثها يعي التميز في شخصية فتحي رضوان الذي أراد إثبات ذاته في دبي بعدما خذله وطنه إلا أنه لم يتميز في شيء سوى في علاقاته مع نساء كثر . فيما مثلت سهر التمرد على المجتمع أو على الوطن ككل فتنتقل إلى دبي مدينة الأحلام لتحقق ما تريد مستغلة في ذلك جمالها

جمّل الكاتب محور الحب في الرواية بقالب أدبي فني بديع .جمع فيه بين جمالية الأسلوب وعمق المعنى الذي يفتح للقارئ سبل التحليل والاستيعاب وتقديم العديد من القراءات .لتظهر أهمية الرواية وكل خصائصها الجمالية في إبداع الكاتب لأساليب الحوار من مونولوج (الحوار الداخلي

للشخصيات) وكذلك ادماجه للشخصيات التاريخية المتخيلة وذلك من بداية العمل لنهايته بالإضافة إلى تعدد اللهجات التي تنوعت بين الشخصيات (اللهجة سورية مصرية عراقية خليجية) ، وهذه الخاصيات تعكس رواية ما بعد الحداثة وكذلك خاصية تنوع المواضيع فضلا عن موضوع الحب الذي يطغى عليها .

كما أن الكاتب كان يستحضر الآيات القرآنية لتعرية ما تحمله النفس البشرية من عصيان للأوامر الربانية .وتبيان الخطيئة (أكثرهم منافقون) (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) وبهذا إستطاع بحنكته أن يعري الذات الإنسانية "الروح "(الدنيئة .المقاتلة .الأصيلة .البريئة .الخائنة الفاسدة ...)، كما أنه كشف عن فكرة الفساد الأخلاقي الذي ساد معظم النفسيات والمجتمعات .

و بالحديث عن البعد الروحي فقد نجده من خلال استحضار شخصيات تاريخية إسلامية ضمن الحوار والتي كان هدفها معاتبة الشخصيات المخطئة والدعوة إلى الاستقامة مثل (رابعة العدوية ويقولون عني أيضًا أم الخير بنت إسماعيل القيسية العدوية البصرية .فأنا مثل رائع للحياة الروحية في الإسلام).

و ختاما كان لعنوان الرواية دلالات كثيرة و احتماليات أكثر.
فمن هاته التي بعشقها انقلبت الموازين ؟ قد تكون زوجة أو أما أو عشيقة أو وطنًا .
وكيف ستكون الحياة لو لم يعشقها ؟.

السيرة الذاتية

الاسم واللقب : سعاد جلال
تاريخ الميلاد ١٥/٠٤/١٩٩٧
تخصص الدراسة في شهادة ليسانس دراسات أدبية
تخصص الدراسات في شهادة الماستر أدب عربي حديث ومعاصر
عنوان مذكرة الماستر "**النص الموازي في مسرح العبث مسرحية يا طالع الشجرة لتوفيق الحكيم .أنموذجا.** "

عندما أقرأ للسيد حافظ

بقلم أ. سحر فاخر الجابري

العراق

فأنا لا أريد أن أفهم أو أدخل مسارب روحه.. ولا أريد أن أعرف نية السيد وراء عمله هذا .. فقط أكتفي بالدخول إلي عالم شخصياته والحبكة في ربط أحداثها التي تعكس لنا خصوصية تجربة السيد حافظ.

أيها الوطن العزيز .. هل ضاقت رحابك عن أولادك .. أم ضاقت أحضانك عن أفلاذك (الكواكب كتاب طبائع الاستبداد.. ص١٦٣)

يحاكي السيد حافظ الوطن من خلال الشخصيات في الرواية.. رواية (لو لم أعشقها) عنوان له دلالة على أنها حالة عشق متفردة في تفاصيلها .. كل شخصية في الرواية تعشق على شاكلتها .. فمنهم من يعشق الجمال.. ومنهم من يعشق المال ومنهم من يعشق ذاته وكرامته المعنوية محاولاً الحفاظ عليها في بلدٍ يسرق ذاتك المعنوية.. ففي الوطن البديل نادريين جدًا من يحالون البقاء على ذاتهم الأصيلة مقابل كرامة مادية.. كما يصفه السيد حافظ بلد النفط (دبي أرض الأحلام والثراء تجمع على أرضها كل من رغب في جني المال وأراد أن يعيش بكرامته المادية لا المعنوية فجمعت مصر والشام والعرق) شخوص الرواية فرقتهم الأوطان وجمعتهم منافي الشتات.. يسرقون بين الحين والاخر لحظات من الزمن... يواجهوا فيها أنفسهم متسائلين ما الذي يجبر الإنسان على أن يهاجر بجسده

إلي المجهول تاركًا الحقيقة، وروحه على عتبات الوطن المقهور ؟ لينصدم الآخر عند هذه المواجهة (حين تمتد يدك لتنزع الغطاء عن قنينة العطر تشعر بالبهجة.. لكن أن تنزع الغطاء عن عطاء أسرار القلب فقد تشعر بغصة أن أخطر اللحظات في عمر كل منا المكاشفة لأنها تصدر الآخر.. من هو الآخر؟) ص ٩٨.

الأستاذ السيد حافظ أنا شخصيًا اعتبره ليس فردًا.. هو جموع.. وهو جمع هويات كل المقهورين والمعذبين فى الأرض.. قلبه يحوي وطنه مصر.. وروحه تحوم حول الرافدين محولهما إلي جناحين يحلق بهما ليسقطهما قطرات ندى على ياسمين الشام .. هو كل هذا بل أكثر.. متعدد الشخوص يدخلك إلي ذات الشخصية بكل تفاصيلها .. شخصية سهر الجميلة جاعلاً من جمالها غواية .. ومحبة.. في نفس الوقت (الجمال غواية ولعنة على صاحبه، وعلى من يقترن به .. الجمال شك.. الجمال قلق، وحيره ، ووجع) ص ٢١٢.. كل هذا جمعه في جمال سهر التي عانت ما عانت منه حتى تلجأ لشجرة الياسمين المملؤة بالحنان والخبرة في الحياة.. شهرزاد تطبطب وتحنو عليها مواسية (حزن النساء الخفي يأتى ويذهب .. يلعب بأرواحهن ساعات ويمضي بلا سبب) ص٩٣. لتجعلها مطمئنة أن حزنها سيذهب يومًا ما.. فتحي

رضوان روح صوفية بجسد عاشق لعوب لا يملك القدرة والسيطرة على رغباته فيهرب بين الحين والآخر إلي الله سيرًا .. من قال أن السير إلي الله من شروطه أن تكن في حالة من الطهر الملائكي؟!! أليس الله بغفور رحيم.؟

(بعض الخطيئة هي الفوضي فى حياتنا.. وبعدها تستكين الأمور) ص ٥٠.

يدلنا السيد حافظ هنا على أن نستقر ونلملم تشظي أرواحنا بعد كل ذنب أو خطيئة فلابد أن تنتهي هذه الفوضى.

يختار مفردات وعبارات تحت عنوان (روح تعكطس روحه.. ومقتبسًا من خلالها حالة العشق الذي يعيشونه في روايته .. آيات القرآن المنتقاة وتجلياتها.. الآنا، والكون... كلها صور تجعل القارئ يبحث عن ذاته عبر هذا المخاض بلغة تتجه نحو البساطة والبلاغة في آن واحد للتعبير عن ذات الإنسان ورغباتها ولذاتها المتعددة.. محاولاً الوصول إلي السمو.. إلي الكمال.. للاتحاد مع الذات المطلقة .. الذات الآلهية.

البوح الصوفي (لفتحي رضوان) رهافة إحساس (سهر) الجميلة.. عطر البخور المتصاعد من (وردة) كأنه ابتهالات تتصاعد إلي الله.. هذا التحليل المترع بما يناسب كل شخص في الرواية يضع بين يدي القارئ مدرسة متكاملة لبناء الروح.. هذه الروح التي بقدر ما تكون قوية فهي ضعيفة جدًا

امام الغواية إذا لم نروضها .. عندما وضع السيد حافظ فاصلة (روح):

بين أحداث الرواية متدرجًا فيها إلي حد الهيام وهي درجة الشوق والجنون في الحب حتى الموت.. الهيمان من الهيام وهو داء يأخذ بالأبل فلا تُروى أبدًا حتى تموت من العطش.. بأن الروح كلما تعمقت في الحب طَّهُرت ، سمت إلي علو، وكلما أحبت بصدق الأنبياء وطهر الملائكة روضت .. وتعالت على الخطيئة.. نراه باحثًا عن هذا الحب في عالم اتسعت فيها رقعة الخراب حد القبح ليعود ويعيدنا إلي ضعف الروح البشرية عندما يتسائل ، كيف نتهيأ إلي الخطيئة والحرام أكثر من تهيئنا للحلال والفضيلة؟ ولا نلقي جوابًا إلا في جلد الذات وممارسة إذلال ذاتنا بذاتنا للتكفير عن خطايانا مؤدي بنا هذا الإذلال إلي الاكتئاب والقلق المبالغ به وصحوة ضمير تكون بمقدرا ما نشعر به من الذنب، ومن الطبيعي جدًا أن تكون ردة فعلنا هكذا. ولما وقف الشيطان أمام فتحي ومنقذ وكاظم و... متسألين ولماذا نتوب.؟ إنما التوبة لأصحاب المعاصي الكبيرة ونحن لسنا منهم مزين لهم أخطائهم ومبررها لهم ليهون عليهم الذنب، قال هرقل (إن الباري جل وعلا يفسح لتلك الأنفس في كل دهر فسحة حتى تنظر إلي نوره المحض الخارج

من جوهر الحق فحينئذ يشتد عشقها وشوقها فلا تزال كذلك أبدًا).

يضع أمام أعيننا الكاتب علامات وفي كل علامة آية من القرآن الكريم لنحلق بها من حب الغواية والخطئية إلي حب وعالم الروحانية وأن الحب الرباني هو أول المحبة ، إن المحبة التي في هذا العالم كلها من تأثيرات تلك المحبة الأصلية التي كانت أول مبدع من الحق تعإلى انصدر منها في جميع العوالم السفلية منها والعلوية ، الألهية منها والطبيعية، الألهية ما كان بين الله وبين عبده ، والطبيعية ما كان منها بين المتحابين على تفاوت اختلافها فهي كلها من تأثيرات تلك المحبة على توسط العقل والنفس والطبيعة، ولهذه الجهة تغيرت واستحالت عن تلك المحبة الطاهرة إلي ما ترى، لأنها وقعت في حد البعد عن الحق تعالي) روح ص١٤٣، .. علامات الآيات القرلأنية هذه تفسر لنا حاجة الروح إلي المحبة.

ولله جل جلاله هو الذي خلق الروح ويعلم خفاياها .. كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابين.. فلماذا لا نعقد صلحًا مع أرواحنا ونحاورها.. نعطيها مساحات من التفكير في الأخطاء التي اقترفناها فنحن لم نخلق ملائكة وليس المطلوب منها هو جلد ذواتنا حد الهلاك.. دائمًا هناك مساحة للصلح والإصلاح.

يخبرنا السيد حافظ أن محاولات إصلاح ذواتنا وتغيير طريق غوايتنا سهلاً وسلس من خلال تذكيرنا بأن الروحج شفافة وكيفما جُبلناها، جُبلت على الهداية أو المعصية.. تحمل الرواية طابع لغوي مبسط ودائمًا يفتح السيد حافظ روح القرائ ليضيف لها وعي ذهني في محاولة فهمه لبناء النص الروائي ليندمج فيه ، وبكلماته الرقيقة وألفاظه المنتقاة التي تلامس المعنى الحقيقي للنفس البشرية، ومن خلال سرد قصصي، يدخلنا الكاتب إلي متاهات الروح والذات لمحاسبتها وكبح جماح الرغبات غير المشروعة فيها.. وبصورة فنية وببراعة لإيصال المعني، محاولاً شحذ أفكارنا وترك لنا مساحة من الفراغ نملؤها بتحليلاتنا كلا حسب ما يدركه من خلال نفسه بنفسه.. صعب جدًا أن نحجم رواية بهذا العمق بكلمات وأسطر حسب فهمنا البسيط لها.. هناك الكثير من العمق الروحي فيها لا يًستوعب، إلا بقراءتها ولكل قاريء في فهم جوانبها الخفية على شاكلته.

أخيرًا

كتب إبراهيم الفقي رحمه الله

" عش كل لحظة كأنها آخر لحظة، عش بحبك لله عز وجل، عش بالتطبع بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام، عش

بالأمل، عش بالكفاح ، عش بالصبر عش بالحب، وقدر قيمة الحياة"

وهذا ما يذكرنى به السيد حافظ من خلال ما قرأت جاعلاً للحياة معنى آخر.

سحر فاخر الجابرى - العراق



الزمان والمكان في "لو لم أعشقها"
دراسة نقدية
إعداد د. خلود جبار عبيد – العراق

سؤال :

كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس ..؟؟

السيد حافظ

المقدمة ...

سؤال إفتراضي وجودي

يخطر في مخيلتي ..

للكاتب الوجودي

جان بول سارتر .

السؤال :

ماهية فلسفة الأخلاق والذات !؟

وبما إن مصدر القيمة الإنسانية هي الأخلاق!؟

فمن الذي يقرر الخير ومن الذي يقرر الشر !؟

ومن يصنع المُثل والقيم والمباديء !؟

هل هي الذات !؟

ام التجربة الإنسانية !؟

كيف دخل الشر إلى شعوب العالم !؟ ونقطة إنطلاقها الأولى

وكيف دخل الخير إلى شعوب العالم !؟

هل من أولويات البشرية توسيع رقعة الخير وتضيق رقعة الشر !؟

بين كل الدول الغنية منها والفقيرة !؟

وزرع قيم الخير بداخل الفرد والمجتمع من خلال نظام تربوي تعليمي وتوجيهي !؟ ونبذ واقتلاع كل المسببات المدمرة التي تدعوا وتساند التمييز العنصري بكافة اشكاله !؟

هل المعتقدات والطقوس هي التي تعبر عن طبيعة المقدس ومكانته وطبيعة !؟ العلاقة بين الأشياء المقدسة مع بعضها ومع الأشياء الدنيوية ومن هم الأولين !؟

ومن هنا أود أن أشير إلى أن ....

للمكان والمكانة الإجتماعية إرتباط وثيق بالواقع والبيئة .

كما يقول افلاطون :

ان الزمن الفترة اللازمة لحركة الأجرام السماوية.

والمكان هو الحيز الذي تكون فيه الأشياء .

وكذلك أوعز ارسطو على أن الوقت : هو عدد من التغيرات مع الأخذ بنظر الإعتبار الحالة قبل وبعد تلك التغيرات .

ومن هنا يتضح لنا أن هناك عقل وقيم إنسانية تنطلق من الذات يترتب عليها إن الإنسان هو من يصنع الخير والشر .

وهو الذي يضع القيم وهو من يضع الشر .

وقد يخالف دوركهايم سارتر إذ يقول :

لا يكفي أن يمتلك الشيء أو الشخص مكانة عالية كي يتصف بالمقدس !؟ فمكانة العبد في النظم الإجتماعية التي مارست العبودية أقل من مكانة سيده ولكن ذلك لا يجعل السيد مقدساً!؟ كما أن الإنسان لا يتصف دائماً بالدونية أمام آلهته .

ففي بعض الأحيان قد يضر الإنسان إلهه أو مجسم هذا الإله إن لم يحقق للإنسان مطالبه.

وبذلك ندرك ان أدم اول من ادرك البشرية وتم أختباره من خلال الشجرة .

اقترب من الشجرة فآكل التفاحة سهواً ليقع في الخطيئة كإنسان .

ويكون رهين تجربة قومته شخصياً للنهوض مرةً وأخرى متحدياً للقهر والإغتراب المكاني وبقوة وطالباً المغفرة.

ولتكون خطيئته أول درس للبشرية جمعاء .

فكان هبوط آدم وحواء في الأرض .

للمرة الأولى كل في مكان مختلف عن الآخر

كما تفسر ذلك بعض الروايات ليجتمعا مرة أخرى ويكونان مجتمعات متعددة .

لينجبا هابيل وقابيل واختيهما زوجات لكل منها ليتولد الصراع بينهما وتنشأ الخطيئة البشرية الثانية .

قال تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ"البقرة "٣٦".

من جانب آخر يعد نظام الطبيعة البشرية نظاماً متحركاً وليس ساكناً كما يفسر ذلك هيوم في نظرية المعرفة والأخلاق المجتمعية .

إذ تشكل النفس عند انجذابها مع بعضها حركة نفسية لافيزيائية . تحركها منظومة من المشاعر والأحاسيس تصدر عن النفس البشرية .

ومن خلال ذلك ندرك تماماً تأمل النفس البشرية يتسع ويتطور مع مرور الزمن.

نحو المفاهيم والمثل ولا سيما المعتقد الديني والأخلاقي الذي أخذ يتطور بشكل تدريجي منذ بداية الخليفة وإلى يومنا هذا.

إذن من هنا ..

ممكن أن نرجح بأن المكان ملاذًا آمناً للنفس البشرية والمجتمعات الإنسانية على مستوى الأديان .

ومن خلال ما يشكله المكان من جغرافية وبيئة وفضاء واسع وجدران. ترتبط بمثيولوجيا الشعوب وبناء الشخصية السيكولوجي الذي يشكل الدافع الأساس لتقارب الأرواح .

الروية ....

فالمكان في رواية السيد حافظ "لو لم اعشقها" يمثل ارتباط سهر الروحي بالجبل والياسمين وحكايات شهرزاد .
وقوة ومكانة محبتها للحنين إلى الماضي بالمقارنة مع كل ما هو مدنس أو دنيوي في علاقتها المسكوت عنها مع فتحي رضوان .
وخصوصاً إنها محاطة بتابوهات المحرمات وأنواعها الدنيوية.
زوجة مستلبة الإرادة تحلم بوطن حالم كأنه نشيد فرح .
ومن خلال طبيعة العلاقات الإجتماعية تشكل لنا زمان ومكان الشخصيات وسلوكها .
وترابط وإشكاليات اكثر من حادثة في مكان واحد .
فقد شكلت العلاقات المحرمة بين فتحي رضوان وحياة شرعا تكاملية اللحظة وإنسياقها نحو المجهول بإشباع الحاجة الإنسانية وسد نقصها المخزون في داخل شخوص الرواية .
وكذلك تمشكلت الشخصيات في جدلاً مشحونا من داخل وخارج اعماقها منتفضتاً على شلل الواقع .
إن ما يميز السيد حافظ في العلامة السابعة والاخيرة ثورة البوح وصدمة المتلقي في الإحساس العميق والنابض بالحيوية في تشخيص مجموعة خطايا إنسانية متشظية ومركبة وخطيرة من أرض الواقع إلى واقع افتراضي مصبوغ آثر تشققات الماضي .

فالنظام الرأسمالي في المدارس الخاصة يعطي صاحب المدرسة الحق في تحديد الأجور كما يريد وكما يهوى .
من خلال من يتقنع بالدين الدين فهو المحرك الأساسي في تحريك الشعوب وهياج الجماهير .
وهذا يشكل جزء منسوخ عن ماضي الأمم والشعوب السابقة التي اشتركت في سقوط الإنسان والإنسانية .
فمنقد وفتحي جزءان من المكان والزمان المستلبين .
وفتحي ذلك الرجل المتعطش للنساءالفاقد للمكان والمكانة والوطن الحقيقي والأب والشرعي .
والنيل (نهر الجنة)
ليعود الزمن به إلى الوراء .
وهو سبب درامي مقتع
لعودة الشخصية لمصر واكتمال احداثها.
إن لغة السيد حافظ شكلت عصياناً مدنياً مدوياً بثورة البوح المجروح وقوة الكلمة التي تجلجل الوجدان
ويقشعر لها البدن .
اذ يقول :
كل مواطن في بلادي يحتاج كوب شاي ساخن وكوب ماء بارد ورغيف خبز وبعض الملح فقط.
وتتأمل شهرزاد
قصة سهر فتحاكي النجوم وتشكيها سهر إبنتها بالتبني .

ماذا جرى يابنت سالم يابنت الجبل والقرية
هل انت سهر القديمة !؟
هل السماء غضبى منك !؟
آه يا سحر ماذا تريدين !؟
اتريدين أن تتحرري من الزوج والأبن والأهل والوطن !؟
إن قواعد سلوك شخصية سهر فرض عليها أثناء وجودها في دبي كما أنها أخذت تتحول تتدريجاً من طبيعة دنيوية محترمة إلى دنيوية محاطة بظروف معينة وحسب حاجة كل مجتمع.
وأود أن ألقي كلمة شكر واعتزاز برواية السيد حافظ كتجربة إنسانية ومدونة سردية.
تشخص الواقع المعاصر وفي تداخل تجريبي مع أحداث الماضي.

شكراً مع التقدير والاعتزاز

السيرة الذاتية

الاسم : د. خلود جبار عبيد

- **حاصلة على درجة الدكتوراة فلسفة أدب ونقد مسرحي**
- **قدمت مجموعة من الأعمال المسرحية والتليفزيونية والسينمائية لمجموعة من المخرجين العراقيين والعرب والعراقيين المغتربين**
- **عملت مقدمة قدمت مجموعة من البرامج الإذاعية والمسامع لقناة المربد سابقاً وإذاعة السفير في البصرة وقناة الفرات**
- **مثلت العراق في نخبة من المهرجانات العربية والعالمية**
- **كتبت وأخرجت مجموعة من البحوث العلمية والمقالات والورش الأكاديمية**
- **حائزة على جوائز ودروع في مجموعة من الأفلام السينمائية العراقية والعربية**
- **مديرة معهد الفنون الجميلة للبنات في البصرة**



الجنس وجدلية المقدس والمدنس في رواية (لو لم اعشقها)

م. م. زينب نوري هاشم لعيوس – العراق

يمثل السيد حافظ مرحلة مغايره في الكتابة فمنذ بداية سبعينيات القرن الماضي وهو يسعي للتفرد بكل قوته في شتي كتاباته سواء للمسرح أو الرواية أو الشعر أو القصة، فهو يكتب من زاوية مغايرة بعقل مراوغ دوما يشاكس الداخل والخارج بمستوي عميق بل بمستويات عده، ما بين الكائن والممكن ما بين الحلم وتشخيص الحلم، سارت كلماته تتوالي وتتوالد منها جملا خاصة وافكاروهي تعد ماركة مسجله باسمه.

واما العناوين فحدث ولا حرج، إذا يمثل العنوان لدي السيد حافظ مدينة أخرى بكامل جلالها وسط الغرابة والغموض فهو لديه القدرة علي استنبات العنوان من عمق العمل ومن أبعد الافاق المتوقعة والغيرمتوقعة، كما في رواية (لو لم اعشقها) فالعنوان مستنبت من عمق الرواية والتي تدور إحداثها حول الجنس والحب والعلاقات الغير شرعية بين الرجل والمرأة.

وتعتبر لعبة الجنس لديه لعبة مختلفة فلا هو بالعادي المألوف ولا هو بالفج البارز، إنما يمثل الجنس النابع من القلب إلى العقل ثم تأتي مرحلة الجسد في الدرجة الثالثة، فهو يتلمس الغير مألوف من المألوف ويستنطق الغير عادي من العادي عن طريق فكره التجريبي القديم المتجدد دوماً.

إذا يمثل الفعل الجنسي وموضوعة الحب المحور الاثير للرواية و يثير من خلال الشخصيات ما هو مسكوت عنه في العلاقة الشائكة والمعقدة ما بين الرجل والمرأة، إذا تتجلى طبيعة تلك العلاقة من خلال نمطين رئيسين هما :

١-علاقة حب+جنس في إطار العلاقة المشروعة (الزواج).. المتمثلة في علاقة فتحي وتهاني كما جاء في الرواية إذا دار الحوار بين فتحي رضوان وزوجته تهاني وهو يبين لها حبه لها ومده تعلقه بها بالمقابل مده شغفه بحب النساء الأخريات..

"فتحي :انا احبك يا تهاني ولكن قلبي يفيض حباً يكفي نساء كثراً، ولكني حتى الان لم أفهم سر الخيانة في العشق وأؤكد على أن عشقك فوق الطبيعية بلا نزاع"

٢-علاقة حب +جنس في إطار علاقة غير مشروعة وتتدخل في قالب الخيانة وتتجسد في علاقة فتحي وسهر، فتحي وحياة، مارينا وكاظم.

فمثلاً علاقة فتحي رضوان بحياة، إذ دار الحوار بينهما على نحو الاتي

"حياة :انت متزوج تعشق امرأة متزوجة وتغازل امرأة أخرى ثالثة.

فتحي رضوان :من هي الثالثة.

حياة : أنا "

اما في مونولوج سهر مثلاً تعرض ما وصلت اليه من العلاقات غير المشروعة فتقول :"ماذا جرى يابنت سالم؟ هل جننتِ؟ ماذا ترغبين ام تكوني مثل الأجانب؟ ان تريدي كل رجال العالم تحت قدميك وليس في الجبل والإمارات بل في كل بلاد العالم.... الحرام يهزمنا ويجرنا إلى وتد غير ذي زرع أو الجسد الذي يسيطر برغباته على الروح"

وحوار كاظم مع ليزا :

"كاظم :الخمر محرم.

ليزا: أعلم أن الخمر حرام عند المسلمين.

كاظم :نعم.

ليزا: كيف تعمل علاقة معي ولا تخاف الله وتخاف الله من كأس خمر؟.

كاظم :يا ليزا نحن نعيش ازدواجية وأحياناً ثلاثة اقنعة، لا تحاسبني يكفي ان الله سيحاسبني ولا اعرف ماذا سأقول له يوم الحساب.

ليزا :قل له انك تحب ليزا وتركت العالم من أجلها.

كاظم :نعم سأقول. "

اذ ان الحوار بين ان كاظم يرفض شرب الخمر لأنه محرم ومدنس من قبل المعتقدات والأوامر الدينية، بينما يمارس الجنس والذي يعتبر محرم أيضًا في معتقد الدين، اذن المقدس

والمدنس كتحريم الإباحية والجنس نسبي إلى الجمهور وإلى زمانه فالقالب السوي للممارسة بين فرد من جنس واخر يكون مقبولاً عند البعض ومحظوراً عند الآخرين، إذ يتبلور الهدف الأساسي والغاية من جدلية المقدس والمدنس على وفق المنظور الاجتماعي ومستوى الافراد والجماعة سواء كان ذلك المقدس دينياً ام اجتماعياً أو اي رمز من الرموز التي تتجلى في منظومة المقدس والمدنس.

ويتضح أيضًا من خلال الحوارات السابقة أن الجنس نشاط محرم تحيطه الشبهات من كل جانب، ويمثل عنصر مهم من عناصر المؤثرة في الحياة الإنسانية والتي تندرج في دائرة التحريم (التابو) الثلاثي لجدلية المقدس والمدنس الدين والسلطة والجنس، إذ يعد من غير الممكن الحديث عن إباحة العلاقات بين الرجل والمرأة ولا يجب الحديث عن التحريم، فالحظر في الأمور الجنسية هو فرض ورقابة اجتماعية تدرج ضمن المدنس لكن السيد حافظ في طرحه يسعى إلى خوض في اعماق تلك العلاقة ويجعل بطلاته (حياة، سهر، ليزا) يمارسن حريتهن المطلقة وفق متطلباتهن الجسدية والفكرية، وإذا كانت حرية غير مشروعة، وهي تبحث عن اللذة كمنظومة مادية بعيداً عن مفهوم الديني فأصبحت اللذة لديها

مفهومها مقدساً واي تفكير ينتزع تلك القداسة من مادته يعد تفكيراً ظلامياً وخارجا عن روح العصر.

ويظهر ذلك في حوار حياة مع فتحي

"حياة: هذا الزمن النساء لا تكتفي برجل واحد ولا الرجل لا يكتف بامرأة واحدة.

فتحي :هذا فوضى مشاعر وقيم.

حياة :سمها ما شئت يا فتحي رضوان لكنه الواقع رجل للحب ورجل للزواج ورجل للصداقة البريئة ورجل للجنس.

حياة :هل العشق سوء ؟.

فتحي :نعم العشق سوء.

حياة: لكننا نسعى به لأن العشق اختراق الروح ورغبة الجسد والجسد حرام.... "

ويلاحظ من خلال العرض أن النص يمارس حريته التي فقدها في المجتمع، ومواجهة ماهو مسكوت عنه في مجتمعنا وكسر التابو المفروض عليها والتحرر من حيائها وخوفها، فتتدس بعض ما قدس في نظر المجتمع والسلطة الذكورية المجتمعية بالمقابل المحافظة على بعض المقدسات التي اعلت من شأنها وحافظت عليها كحرمة الخمر وغيرها من الأمور التي تم طرحها مقدم ضمنيا في خطاب الجنس، ويعتبر الجنس وكما

قال فرويد هو نقطة ضعف البشر وبأنه المحرك الأساسي للكون.
"فتحي :هل اللقاء مع حياة خطيئة؟ كيف سقطت ضعيفاً أمام شهوتي؟ هل المرأة الجميلة شهوة؟ وهل الشهوة جريمة؟ وهل الجنس جريمة؟ وهل الزنا جريمة؟ كل من حولي علامات استفهام ما معنى الخطيئة؟ وما هي الجريمة؟..."
وكذلك يطرح السيد حافظ مسائلاته التأريخية في شأن امكان صياغة خطاب المرأة المنتج في مجتمع والذي يعبر عنه عن طريق شبكة معقدة من العلاقات، ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي علي الهيمنة والأخطار معاً وبالتالي فهو إنتاج مراقب ومنتقي ومعاد توزيعه عبر نماذج مكرره من الحياة وما يوازيها من الرواية بمكر وتمكن ومرونة، خاصة عندما يلتقط المؤلف المرأة كخيط ينسج عبره النسيج الكامل لإطاره الدرامي ومابين الحدوث المحتمل والاخفاء والمادية الثقيلة المرعبة.
اذ تدور الحكاية الأم (الحب والجنس) وخلفها سيل من الحكايات الفرعية (السلطة والسياسية والوطن ووضع المثقف في الوطن العربي...)، عبر شرعية مفقودة وغير شرعية مقصودة، وذلك عبر تلاقي الاضداد واقتحام المرأة كفعل حضاري، وتمثل النساء وسط القهر والتهميش وتهكم من خطاب المرأة الجسدي عندما يتم تصديره لمواجهه السلطة

الذكورية.
لكن مع السيد حافظ نحن أمام قوة الصمت ذاته صمت ابلغ من كل كلام ولفرط تعلق المؤلف بقضايا المرأة أكثر من عمل لديه عنوانه باسم المرأة، فالمؤلف لديه ولع باقتحام العوالم الخفية للمرأة عبر خلخله المألوف وغير المألوف في بساطة ويسر عبر موضوعاته التي تحاكي وتعالج مشاكل المرأة في العصر الحديث، كتدنيس جسدها ذاك الجسد أمانة الله لدى الإنسان وجعله مصدراثارة وأيقونة لجذب الإعلانات والحصول على الشهرة والمنصب وتحول العلاقة الجنسية المقدسة التي هي مصدر استمرار البشرية إلى فعل فوضوي عاري مجرد من المشاعر والحب والمودة.

السيرة الذاتية

الاسم : زينب نوري هاشم العيوس الاسدي
اللقب العلمي : مدرس مساعد.
الجامعة: جامعة البصرة.
الكلية: الفنون الجميلة.
البلد: العراق.
البريد الالكتروني : ALASEDYA369@GMAIL.COM
الهاتف: ٠٧٨٠٦٥٦٠٣٠٤
المؤهلات العلمية:

- **تخرجت من جامعة البصرة – كلية الفنون الجميلة _قسم الفنون المسرحية _ قسم التمثيل ٢٠١٢.**
- **حصلت على شهادة الماجستير ادب ونقد وكان عنوان دراستي المسرح الحسيني (نصوص المسرح الحسيني بين الشعائرية وخصائص البنية الدرامية) ٢٠١٧.**
- **درست في مدارس الكفيل التابعة للعتبة العباسية المقدسة فرع البصرة .**

الخبرة العملية:

- **شاركت في الندوة العلمية الدولية الافتراضية لجامعة البصرة في الورقة البحثية (معيقات التعليم الالكتروني).**
- **شاركت في المؤتمر العلمي الدولي الأول في الدراسات التربوية والنفسية لجامعة سومر كلية التربية الاساسية في البحث الموسوم(بناء استراتيجية مقترحة لدرس التربية الفنية في المدارس المتوسطة (دليل المدرس)).**
- **شاركت في المؤتمر الافتراضي (مؤتمر البحوث المسرحية) والذي عقده المركز الثقافي ضمن فعاليات (ايام البصرة المسرحية) بالبحث الموسوم (التوثيق المسرحي بين حضور المنجز وغيابه (المسرح في البصرة اختياراً)).**

- شاركت في الندوة العلمية في جامعة الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية بعنوان (كيف نحمي ابنائنا وطلابنا نفسياً في جائحة كورنا).
- شاركت بحث الموسوم (الرثاء النسوي و تمثلاته في النص المسرحي العربي المعاصر مسرحية الخنساء اختياراً) جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة مجلة الاكاديمي .
- في مقال علمي منشور في مجلة الروضة الحسينية بعنوان (البنية الدرامية في الشعائر الحسينية).
- شاركت مقال منشور في مجلة صدى الروضتين بعنوان (العدالة الاسرية وأثارها في التنشئة الاجتماعية).
- مقال في مجلة الاداب والفنون (اثر التوثيق في حفظ النشاط المسرحي .)
- شاركت في مهرجان روح النبوة في بحث عن سيدة فاطمة الزهراء (ع).
- شاركت عمل مسرحي مسرحية (يوم الاحد يكلف خمس بيزات) في مهرجان النسوي الاكاديمي الأول بجامعة البصرة وحصل العمل على درع التميز .
- شاركت في عمل مسرحي مسرحية (هملت) وقد عرضت في يوم الجامعة على خشبة مسرح كلية الفنون الجميلة.
- شاركت بحث منشور في مجلة ينابيع بعنوان(برمجة وسائل الاعلام واثره في سلوك الفرد والمجتمع) الصادرة من العتبة العلوية .
- عملت في وكالة الميزان الاخبارية.
- عملت في جريدة الاضواء
- عملت في اذاعة الرشيد .
- عملت في مجلة لوتس
- شاركت العديد من البحوث المشتركة والورش والندوات المحلية والدولية كمحاضرة ومشتركة .
- عضو نقابة الفنانين.

- عضو البيت الصحافي في البصرة
- عضو مؤسسة سينما للجميع.
- عضو مؤسسة انو الثقافية.
- عضو رابطة لوتس الثقافية النسوية.
- عضو مؤسسة بدن اكاديمي .

التدريب:

- المؤسسة العراقية لرجال الثقافة والاعلام
- دورة في الكتابة الاحترافية للخبر الصحفي مركز التدريب الاعلامي والتنمية
- دورة تدريبية بعنوان (الديالوج والمونولوج في النص المسرحي) مركز الادارة العامة للتعليم بمنطقة الرياض إدارة النشاط اطلابي.
- دورة تدريبة بعنوان (تصميم بيئة تعلم محفزة باستخدام المواد التعليمة) المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة ام القرى .
- ورشة عمل بعنوان (الاحتفالية وتحديات العصر للأستاذ الدكتور عبد الكريم برشيد) ضمن الورش المسرحية الرقمية التي نظمها مسرح هواة الخشبة العماني .
- ورشة علمية بعنوان (الساعة البويولجية) برعاية المنظمة الدولية لحماية حقوق الإنسان اوكرنيا –العراق .
- ورشة بعنوان (الفلم التنموي الاجتماعي) جامعة البصرة .
- دورة في كتبة التقرير الصحفي الاحترافي.



ثنائية المقدس والمدنس في " لو لم أعشقها "

د. نزار شبيب كريم العبادي
العراق

تعد ثنائية المقدس والمدنس من المفاهيم التي شغلت حيزاً واسعاً من الفكر الإنساني ولعبت دوراً بارزاً في التأثير في سلوك الإنسان وتفكيره وبخاصة في ممارساته الدينية والحياتية ويرى (ميرسيا الياد) " إن الإنسان ضل أسير أساطير ومحرمات ومقدَّسات تتناول كل مقومات هذا الوجود ، وانه ما زال يعاني تسلط واستبداد أفكار أشخاص تفصله عنهم مئات السنين ، ويندر أن يتساءل أحد لماذا وصف ذلك الشيء ، بالحلال أو المقدَّس وذلك الشيء بالمدنَّس أو الحرام ، ولماذا عدّ هذا المكان وهذا الجبل وذلك الحجر مقدَّساً حين دفع غيره أو وضعت ظاهرة طبيعية بكونها مجردة من القداسة."

وترى (ميرال طحاوي) أن اختلاط القدسي بالحرام يعني أن القدسي قد يتمثل في عدد من المحرمات والممنوعات. والفعل حرم في القرآن الكريم يجي موازياً أو مناقضاً للفعل أحل فالحرام هو المحظور. والحلال هو المسموح المباح. ويعبر عن الثاني بمفردات نقيضة للأولى هي : الحرام، والممنوع، والمحضور، والعيب، والمرفوض. وإن كانت المفردات السابقة غير مترافدة، إلا أنها تشترك في دلالتها على التحريم القطعي أو شبه القطعي، والإباحة المطلقة أو شبه المطلقة فيما لايتجاوز المنظومات التي وظفت في سياقها هذه المفردات.

وأراد السيد حافظ من خلال شخصياته وبالتحديد من مصر والعراق الكشف عن صراع الحضارات الموغلة في القدم في الحصارة المصرية القديمة و حضارة وادي الرافدين بما تملكه من أرث حضاري وثقافي أضفى طابعاً من القداسة مع مدينة البغاء (دبي) التي تمثل حضارة اليوم التي أرسيت على كل هو مدنس وينتهي الصراع بأنتصار المدنس على كل ماهو مقدس وأصبح أبناء الحضارات غربة في أحضان الوطن يلفظهم تارة ويعاقبهم تارة أخرى" الوطن قاعة لأستقبال الغرباء ومغلقة أبوابها أمام مواطنيه ..الوطن قسمنا إلى جزأين الأول للسادة الأحرار والثاني هو الغالبية العظمى من العبيد(الكلاب).. هناك فرق بين الاثنين. وأنا من العبيد الفقراء وأنحاز إليهم.. قلباً وقالباً..دخلت إلى البيت عكر المزاج صامتاً..لم أتحدث مع تهاني حاولت تهاني زوجتي أن تعرف سبب تعكر مزاجي قلت لها وأنا أجلس على طرف السرير وأخلع الجورب من قدمي المتعبة دائماً والتي أضع عطراً رخيصاً عليها.. قلت لها تحت إلحاحها:

فنشوا ناس كثير اليوم؟ طرد ٧ صحافيين

وأنت خايف تنفنش؟

أكيد خايف ص ٣٤

وأرى هاجس المعادل الموضوعي لمعاناته في عشق وحب مصر لكن دون جدوى.
فالتهميش والاقصاء ينتظره في كل مكان مثلما طال أسلافه سابقاً.
"أين ستذهب يأبن رضوان إلى مصر حيث ينتظر كالغالبية من المثقفين يحملون خناجرهم ليغتالوك مثلما اغتالوا محمود دياب ونجيب سرور ويحيى طاهر...وقائمة طويلة من مبدعين ومبدعات قتلوا قبلك من الحسد والتهميش والتجاهل والإشاعات ؟ إلى أين تفر يا ابن رضوان؟ إلى قطر المدينة التي مساحتها مثل مساحة شارع شبرا وكانتها مثل قارة أوربا؟ هل تسافر إلى الكويت التي تعرف أن المسيح مر ذات ليلة عليها ومسح على شعرها ومضى..." ص ٢٧
إذ بانت سطوة المدنس على المقدس في كل مفاصل الحياة اليومية في عالمنا اليوم. وربما ماكان مقدسًاً عند فلان يكون مدنسًاً عند آخر وغالباً ماتدور الرواية العربية في فلك الجنس أو السياسة وهو مانراه متجلياً في خانة الرواية وتلك العلاقة المشوبة بالخيانة الزوجية التي جمعت (رضوان بسهر) وباتت تهدد كيان أسرة. و(منقذ) في حيرة من أمره خشية أفتضاح أمره وأمتلك السيد حافظ أدوات الجرأة في الخوض في غمار

المقدس والمدنس بغية تسليط الضوء على مايعانيه المجتمع العربي من افرازات تلك الثنائية ومهيمانتها.
وجاءت الآيات القرآنية لتكون مصداقّاً لما يرتكب من فساد " وأن كل ذنب يترك أثره في المجتمع، كما يترك أثره في الأفراد عن طريق المجتمع أيضًا..ويسبب نوعاً من الفساد في التنظيم الاجتماعي. وخيانة الامانة تحطم الروابط الاجتماعية"
وأوغلت سهر في أرتكاب المدنس وهي تحتسي الخمر:
حياة: أنت أول مرة تشربي يا سهر
شربت مرة مع شهرزاد
من شهرزاد؟ أمك؟ خالتك؟ صاحبتك؟
هي الدنيا بكل ما فيها. شهرزاد هي كل شي في حياتي
شوقتيني لها. نفسي أشوفها.
مصيرك حتشوفيها؟
رفعتا الكأسين
في صحتك
في صحتك
ارتفع الكأسان من يدين ناعمتين
خرجت المرأتان في ذات العصر من المطعم.. كل منهما إلى سيارتها. الخمر خطيئة في الدنيا وفي الآخرة خمر أخرى لا تسكر ولكن تنعش القلب والروح هكذا علمونا رجال الدين.. والله أعلم . هل ما نفعله الصواب . ص ٣٠

السيرة الذاتية

الأسم الكامل : نزار شبيب كريم العبادي

مواليد : البصرة ١٩٧١

التحصيل الدراسى :

- **دكتوراة أدب ونقد مسرحي جامعة البصرة – كلية الفنون الجميلة عن اطروحته الموسومة (توظيف المضامين التربوية القرآنية في النص المسرحي العربي) ٢٠١٨**
- **ماجستير إخراج مسرحي عن رسالته الموسومة (عروض المسرح المدرسي في البصرة ١٩٦٨-١٩٨٨- دراسة توثيقية) ٢٠١٣**
- **بكالوريوس تمثيل - الدفعة الاولى ١٩٩٦**

اللقب العلمى : مدرس دكتور

العنوان الوظيفى : تدريسي في مديرية تربية البصرة

<u>النقابات المنتمى لها</u>

- **عضو نقابة الفنانين ١٩٩٦**
- **عضو نقابة المعلمين ٢٠٠٥**
- **عضو رابطة التدريسيين التربويين ٢٠١٠**
- **عضو مؤسسة الكفاءات التربوية ٢٠٢٠**

الدورات والشهادات

- الشهادة الدولية للحاسب والانترنت ٢٠٠٩(IC3)
- شهادة اختبار اللغة الانكليزية ٢٠٠٩(TOFEL)
- شهادة الرخصة الدولية لقيادة الحاسوب ٢٠١٧ (ICDL)
- الدورة التاهيلية في طرائق التدريس ٢٠١٣
- دورة (نحو مدرس تربية فنية) جامعة البصرة كلية الفنون الجميلة بالتعاون مع شعبة الاشراف التربوي في مديرية تربية البصرة ٢٠١٧
- الندوة الدولية الالكترونية (مناهج الفنون الجميلة- الواقع والطموح) التي اقامتها كلية الفنون الجميلة جامعة البصرة بورقة بحثية ٢٠٢٠

المشاركات

- الّف وأخرج مسرحية (المذيع) وعرضت عام ١٩٩٢
- المشاركة في اوبريت (الشهيد) إخراج د. ناصر هاشم ١٩٩٢
- المشاركة في اوبريت (كبيرا انت ياوطني) إخراج احمد ابراهيم١٩٩٢
- المشاركة في مسرحية (اوديب ملكا) إخراج د.حميد صابر٣ ١٩٩
- المشاركة في مسرحية (طائر البحر) إخراج د.كريم عبود١٩٩٤
- المشاركة في مسرحية (ماراصاد) إخراج د. كريم عبود ١٩٩٥

- المشاركة في مسرحية (الدب) إخراج سمير سبتي ١٩٩٥
- المشاركة في مسرحية (الأستثناء والقاعدة) إخراج د.فراس جميل ١٩٩٦
- كما شارك في العديد من الفعاليات والانشطة التي قدمتها مديرية تربية البصرة

البحوث المنشورة:

- الرثاء النسوي وتمثلاته في النص المسرحي مجلة الاكاديمي.
- القيم الاخلاقية لشخصية الام في مسرحيات جبار صبري العطية قيد النشر
- مفهوم الوصم وتمثلاته في النص المسرحي قيد النشر
- صور الموت في العرض المسرحي العراقي مسرحية يارب انموذجاً مجلة فنون البصرة
- مظاهر توظيف التراث الشعبي في مسرحيات اطفال حسن موسى قيد النشر
- مفهوم الالحاد في النص المسرحي نماذج مختارة- منشور في وقائع المؤتمر المؤتمر الدولي الخامس للعلوم الإنسانية والتربوية جامعة فردوسي.

نبذة عن الكاتبة
د. نجاة صادق الجشعمى

- من مواليد البصرة – العراق
- عملت بسلك التدريس في وزارة التربية والتعليم
- حصلت على رسالة الدكتوراة من الجامعة الأمريكية في التاريخ.
- حاصلة علي دبلوم تنمية بشرية "دبلوم منهجية الرعاية الخاصة مهارات ومهارات حسية"
- حاصلة على دبلومة "إعداد البرامج العلاجية فى تنمية المهارات وتعديل السلوك".
- حاصلة على دبلومة "إعداد مدرس مساند".
- حاصلة على دبلومة "إعداد برامج علاجية فى مجال الاضرابات النمائية (نظرى – عملى) "
- حاصلة على دبلومة "برنامج تدريبى مكثف فى تعديل السلوك"
- حاصلة على دبلومة "البرنامج التدريبى المكثف (التكامل الحسى) بشقيه النظرى والعملى"
- حاصلة على دبلومة " الوظائف التنفيذية للمخ"

- حاصلة على دبلومة "تشخيص الاضطرابات النمائية "
- حاصلة على دبلومة " معلم صعوبات التعلم دفعة ٤"
- تكتب دراسات حول الأدب والمسرح العراقى ونشرت في عدة صحف أهمها جريدة "مسرحنا" جمهورية مصر العربية.

لها العديد من الكتب :

١- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء أول)
٢- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء ثانٍ)
٣- التنوع الدلإلى في مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج
٤- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل في الوطن العربي
٥- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة
٦- ديوان لست مؤهلة للعشق
٧- حكايات نساء بغداد والبصرة بين الندم والحسرة
٨- عواطف البدر رائدة مسرح الطفل في الكويت
٩- المشاكس "رحلة في رحاب الكاتب السيد حافظ
١٠- السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين
١١- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب (جزء ١ ، ٢)
١٢- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج أول)

١٣- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج ثان)
١٤- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية.
١٥- فرسان المسرح العربي "من أجل النهوض بفن المسرح"
١٦- إشكالية وتمازج ملامح العشق المقدس والمدنس نموذجًا "رواية لو لم أعشقها" للكاتب السيد حافظ.
١٧- الحب ما بين الاصطلاح والرمزية – دراسات نسوية.
١٨- التجريب وجماليات البناء السردي في الرواية العربية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائي "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب".
١٩- معمارية البناء وجماليات السرد ما بين الزمانكية و عولمة النقد – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائي "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب".
٢٠- العنونة ما بين الصورة والزمانكية فى الرواية – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائي "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب".
٢١- شرنعة العشق ما بين البراجماتية والدوجماطيقية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائي "السباعية" الجزء السابع - نموذجًا رواية "لو لم أعشقها".

لها تحت الطبع

١- شذى سالم نجمة العراق

فهرس